سبع و ثلاثون محاضرة

مستخرجة من أقوال العلماء والمفكرين المستنبط من الكتاب و السنة

لكشف الإنحرافات والتجاوزات السياسية على حساب الشرع وبيان حقيقة الإسلام، والعمل من أجل هذه الحقيقة بكل الوسائل الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى ا لله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

كثير من المسلمين المخلصين نحسبهم كذلك، ولا نزكي على الله أحدا، يسألون أو يودون أن يعرفوا من نحن، و ماذا نريد؟ أو بتعبير أخر لماذا لا نشارك الجماعات الإسلامية في العمل الإسلامي و خصوصاً الجهاديين منهم، للإجابة على هذا السؤال و أسئلة أخرى قمنا بعد التوكل على الله بإلقاء بعض المحاضرات المهمة و خطيرة على بعض إخواننا المسلمين، ونأمل أن تكون هذه المحاضرات قاعدة أساسية للعمل الإسلامي ينطلق عليها وخصوصاً الجانب الفكري و السياسي، وتتحد الجماعات الإسلامية على أساس الصواب وتكون لها قيادة وقاعدة والسمع والطاعة والقوة والشوكة. إنشاء الله، راجين من المولى عز وجل قد وفقنا لجواب هذه الأسئلة المطروحة، وأن يستفيد المسلمون منها بعون الله تعالى، وأن يكون عملنا هذا ذخرا للآخرة. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الدعوة الى المنهج

قبل الخوض في صلب المحاضرات نريد أن نبين بعض النقاط المهمة وهذه النقاط هي:-

١- الدين النصيحة :-

أ- المؤمن يقبل النصيحة ويعمل بها وبذل النصيحة واجب على كل قادر.

ب- أطلق النبيى ﷺ على النصيحة بأنها الدين لأن الدين كله قائم على النصح والاخلاص.

ج- إن المؤمن المخلص العاقل هو الذي يتقبل النصح بصدر رحب بل يفرح به و يعده غنما لا غرما ويشكر لصاحبه.

٢- تمحيص المنهج والدعوة اليه:

أ- يجب على الدعاة أن يعلموا أن المنهج هو الذي يمكن أن يجمع الناس.

ب- متى استقام المنهج فإنه الطريق الذي يصل بك أو تصل به الى معرفة الحق والصواب والتزامه والدعوة اليه والعناية به.

٣- الدعوة ليس منصبا على الأشخاص:

أ- أن الأشخاص يمكن أن ينحرفوا.

ب- ويمكن أن ينحرف نياتهم.

ج- ويمكن أن يخدعنا ظاهر أمرهم.

د- إن الدعوة الى الأشخاص - غير المعصومين - أو الى - طرائقهم - كثيرا ما تكون أقرب الى ظاهرة التعصب أو الهوى أو التقليد، بخلاف الدعوة الى القناعة بأدلته وحججه فيقتنع به أو لا يقتنع به.

٤- الدعوة الى منهج أهل السنة والجماعة أو الإسلام:-

أ- أن الدعوة الى الإسلام من أوجب الواجبات على المسلم في أي زمان ومكان.

ب- الدعوة الى الإسلام بشموله واجب على المسلم و لا سيما الى عدد من الجوانب الأساسية فيه، ومن هذا الدعوة الى:-

- الإلتزام بالكتاب والسنة والأحتكام إليهما.وتحكيمهما في حياة الفرد والمجتمع و العناية بفقههما والعمل بهما وإخلاص الدين لله.
- متابعة الرسول ﷺ وتمحيصها والبعد عن الشركيات والإبتداع بأي صورة من الصور.
- البعد عن ما ينقض الإيمان أو ينقصه.

فإن كل ذلك هو:

أ- دعوة الله الى خلقه جميعاً.

ب- ودعوة رسوله.

ج- ودعوة أصحابه عليه الصلاة والسلام.

د- ودعوة الأئمة من سلف هذه الأمة.

هـ- فإن في السمع والطاعة والأستجابة لهذه الدعوة النجاة والسعادة والأدب، والعقل والتقى، وفي ضدها ضدها.

بيان العلم الممدوح وأهله - والعلم المذموم

١ - العلم الممدوح وأهله:

العلم الشريف هو العلم المنزل من السماءالىالارض، العلم الموحى من الله تعالى الى نبيه ﷺ من الكتاب والسنة ثم ما تفرع عنهما من العلوم الشرعية.

الادلة من الكتاب:

- قال تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب و الحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾النساء-١١٣. الكتاب : القرآن ، الحكمة : السنة.

- قال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان، ولكن جعلناه نورانهدي به من نشاء من عبادنا، وانك لتهدي الى صراط مستقيم ﴾ الشورى-٥٢. روح: القرآن ، الهداية في هذه الاية تعني هداية الدلالة والبيان، فهو المبين عن الله و الدال على دينه و شرعه... أما آية ﴿أنك لاتهدي من أحببت ...﴾ هنا هداية التوفيق والقبول. وهذه الهداية ليست بيد أحد سواء كان نبيا أو وليا أو اي شخص فان أمر ذلك الى الله وهو القادر عليه..

- وقال تعالى :﴿فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ﴾ ال عمران:٦١ - نبتهل : نلتعن

- فبين الحق جل وعلا أنه إنما أوحى الى نبيه العلم، ووصف هذاالعلم بأنه روح و-نور- وانما كان كذلك لانه يحي القلوب الميتة ويخرج الناس من الظلمات الى النور كما قال تعالى: ﴿او من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له

نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ -الانعام: ١٢٢-

(ميتا: مثل ضربه الله تعالى للمؤمن الذي كان ميتا، أى في الضلالة حالكا حائرا، فأحياه الله) (الظلمات: الجهالات والاهواء والظلالات المتفرقة)

قال ابن حجر-رحمه الله-

* والمراد بالعلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من امردينه في عباداته، ومعاملاته ،والعلم بالله وصفاته وما يجب من القيام بأمره وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك علم التفسير والحديث، والفقه، (الفتح البارى).

٢- العلم الممدوح أيضا: العلوم النافعة في الدنيا:

ومن العلم الممدوح: العلوم النافعة في الدنيا، والتى هي من فروض الكفاية كعلوم الزراعة والصناعة والطب ونحوها، وهي المقصودة في قول النبي:-(أنتم أعلم بأمور دنياكم)رواه مسلم.

٣- العلم المذموم:

- فمن المذموم:باطلاق، في قوله تعالى:﴿ويتعلمون ما يضرهم ولاينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخرة من خلاق﴾ البقرة:١٠٢ (ما يضرهم: أي في دينهم - فأثبت الله تعالى أن من العلم ما يضر ولا ينفع وهو السحر هنا.)

ومن العلم المذموم أيضا:

- علوم الكفار التي يعارضون بها الرسل (عليهم السلام) كما قال تعالى: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوابه يستهزءون﴾ غافر:٨٣.

أهل العلم:

* أهل العلم الذين وردت الادلة ببيان فضلهم وعلوامنزلتهم وعظيم ثوابهم، فهم الحاملون لهذا العلم الشريف العاملون به في أنفسهم بنشره وتبليغه.

- فقد وردت الادلة بذم من علم ولم يعمل كما في قوله تعالى﴿ كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون﴾ الصف:٣،

*** عن ابن عباس: انه جاءه رجل فقال: ياابن عباس ، اني اريد ان آمر بالمعروف وانهى عن المنكر، قال:أبلغت ذلك ؟ قال: ارجوا، قال: إن لم تخشى ان تفتن بثلاث آيات من كتاب الله:فافعل، قال وما هن؟ قال تعالى:**

- ﴿أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ **احكمت هذه قال: لا،**

- **قال فالحرف الثانى، قال تعالى:** ﴿لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتانا عند الله ان تقولوا ما لاتفعلون﴾، **احكمت هذه قال: لا،**

قال: فالثالث،قال تعالى على لسان عبده الصالح شعيب(عليه السلام):-﴿وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد الا الإصلاح﴾**احكمت هذه الآية؟ قال:-لا قال فابدا بنفسك (تفسير ابن كثير).**

* فعلم من هذا أن الممدوحين هم العلماء العاملون بعلمهم، وأن من لم يعمل بعلمه، فهو من أهل الذم، لاأهل الفضل، بل أنزل الله تعالى من لم يعمل بعلمه منزلة الجاهل الذي لا علم له،وذلك في قوله تعالى:﴿ولقد علموا

لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروابه أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾البقرة١٠٢. فبدا بوصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي﴿ولقد علموا﴾ ثم نفي عنهم ﴿لو كانوا يعلمون﴾ حيث لم يعملوا بعلمهم ، فأنزلهم منزلة الجهال.

أقوال بعض العلماء:

شيخ الاسلام ابن تيمية-رحمه الله- يقول:

* (ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الانبياء وخلفاء الرسل، هم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة الى الله، والرسول،فهولاء أتباع الرسل حقا وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الارض التي زكت فقبلت الماء فأنبت الكلأ والعشب الكثير، فزكت في نفسها وزكى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الانبياء الذين قال الله فيهم :﴿واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق و يعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾فالأيدى القوة في أمر الله، والابصار البصائر في دين الله، فالبصائر يدرك الحق ويعرف، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة اليه.

الشاطبى -رحمه الله- يقول:

* (العلم الذي هو العلم المعتبر شرعا-أعني الذي مدح الله ورسوله أهله علي الاطلاق- هوالعلم الباعث على العمل الذي لا يخلى صاحبه جارياً مع هواه كيفما كان، بل هو المقيد لصاحبه بمقتضاه الحامل له على قوانينه طوعا أو كرها .

-الشاطبى-رحمه الله- ايضا قال :

* (العلم وسيلة من وسائل:ليس مقصودا لنفسه من حيث النظر الشرعى، وانما هو وسيلة الى العمل، وكل ما ورد في فضل العلم فإنما هو ثابت للعلم من جهة ما هو مكلف بالعمل به (الموافقات).

* فعلم من ذلك أن أهل العلم الذين وردت الادلة ببيان فضلهم هم العاملون بعلمهم .

حال المسلمين اليوم

* لابد ونحن نستعرض حال المسلمين المزري التي وصلوا اليها من الذلة والمهانة والهوان. من أن نقف عند البلاء الأول وسبب كل تلك المصائب ألا وهو:

* غياب شرع بكامله وشموله عن حياتهم ولا سيما غيابه السياسي واستبعاده من قضية الحكم.

* والإستعاضة عنه بقوانين وشرائع جاهلية ما أنزل الله من سلطان، لقد كانت هذه مصيبة المصائب. بما تركته فيهم من خور وضعف وتفسخ الإجتماعي وتحلل، جعل من الطبيعي أن ينتهوا الى ما انتهوا إليه.

-- ولله در عمر حين قال:- (نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، ومهما نبتغي العزة بغيره نذل).

وإذا اردنا أن نقف على حقيقة أمرنا و ما وصلنا إليه فماذا نجد:-

أولاً: حاله من التقسيم والتشرذم:

* في دول ودويلات كثيرة وضعيفة متباينة الأهداف مختلفة التصورات فهذه شرقية وتلك غربية وأخرى رأسمالية ورابعة إشتراكية... وقد أورثنا هذا تباغضاً وتناحراً وضاعت كلمتنا بين الأمم وهان امرنا ووصلنا للحال التي وصفها رسول الله ﷺ وتداعى علينا الامم كما تداعى الأكلة الى قصعتها.

* وسيطر الغرب والشرق على إقتصادنا ومص دماءنا فغدونا عالة على الأمم.

* وحتى البلد الواحد من بلاد المسلمين تراه كتلاً وفرقاً واحزابا متصارعين بلا نهاية ودون طائل.

* إن حكامنا وزعماءنا وأصحاب الرأي فينا لم يعودا إخواننا متحدين متعاونين كما يقتضي ذلك الإسلام وانما أحزاباً وشيعا يعيشون متفرقين متنابذين يتآمر بعضهم على بعض.

* ويتقول كل منهم على الأخر بالحق والباطل. ويتبادلون القذف والسباب كما لو كانوا يتعارضون المديح والثناء كل يحاول تحقير الأخر وتشويهه وكل يريد أن يهدم أخاه ليرتفع على هامته أو ليخلوا له الجو ينطلق فيه.

* وقد حرصوا على هذه التقاليد التي ينكرها الإسلام و مارسوها كلهم حتى مزقوا أعراضهم و قطعوا أرحامهم، وهدموا أنفسهم وتركوا أسوأ مثل لمن بعدهم.

* فإذا أردنا أن ننظر لحال هذه الدول واحدة واحدة فلن نجد إلا بلاداً قد سيطر على حكامها عوائل تتوارث الحكم فيها وتتسلط على رقاب العباد بالباطل.

* وقد أوسع الله في رزق معظم هذه البلدان فراحت تبعثر أموال المسلمين هنا وهناك.

- فقسم ذاهب لدعم أعداء الإسلام.
- وقسم لبطر المعيشة والفسوق والعصيان والإنفاق في محرمات نهى الله عنها.
- وقسم في بنوك الغرب تتقوى بها القوى الحاقدة على حربنا لتنموا بالربا وسخط الله.
- وقسم عائد لشعب فسدت أخلاق العامة من شبابه وشيوخه وأمرائه وأصبحت قصص مغامراتهم في مراقص أوربا وامريكا مضرب الأمثال.

في طريق أخر:-

* نجد بلاداً قد سيطرت عليها الأفكار الإلحادية والإشتراكية وحكمت رعيتها بالقهر والكبت تحت شعار رنانة وطنانة وذاق أهلها لباس الخوف والجوع والقهر.

- فتفشت الرشاوى والمحسوبيات وعمت الفوضى وانتشر الفساد.
- وقسم لا من هذه ولا تلك فهي دول تدعي الديموقراطية والحريات.
- وتخنق كل صوت إسلامي مثلها مثل إخوانها وقعت في حُضن الغرب ليعبث بمقدراتها كيف يشاء.
- ودول أخرى آلت الى نفس المصير بطرق شتى...
- ونظرا لهذا الحال المتفسخ فلا عجب أن تنتشر الأفكار والمذاهب الفكرية باعثة على حل لهذا الفساد.
- ويلعب الغزو الفكري الصليبي والإلحاد دوره.
- ويتشرذم معظم مثقفي هذه الأمة بين ديموقراطي وشيوعي وإشتراكي ووجودي... تعددت المذاهب والكفر واحد.

ثانياً:- التفسخ الإجتماعي

* إن هذه الأوضاع السياسية المتفسخة وما رافقها من غياب الإسلام عن ساحة بمفهومه الشامل العميق، أورثت الأمة الإسلامية أحوالاً إجتماعية لا تقل عن تلك السياسة فساداً.

- ولقد فسدت أخلاقنا.
- وضعف إيماننا بأنفسنا وانحدرنا الى الحضيض.
- ورأينا كبرائنا وهم المثال الذي يحتذى به الشعب يتلونون كل يوم بلون، ويلبسون لكل حال لبوسها. فهم يوماً يؤيدون حكم الأقلية وفي اليوم التالي ينادون بالحكومة الدستورية وهم بعد ذلك يهزون لهؤلاء وهؤلاء.



يجرون وراء فرد ليس له جماعة تؤيده ولا حزب يسنده وهم يفعلون كل ذلك لا تمشياً مع عقيدة يعتقدونها ولا خضوعاً لمبادئ يطبقونها وإنما جرياً وراء الأهواء والشهوات وتحقيقاً للمنافع أو تخوفاً من الحرمان.

– ذلك أنهم يربطون أنفسم بكل ذي سلطان طالما كان له سلطان. فإذا ما أحسوا بهذا السلطان في طريق الزوال إنقلبوا على صاحبه ينهشون عرضه و يسخرون منه.

– ولطالما ولله عبدوه من دون الله وضحوا في سبيل إرضائه بكرامة الرجل وحياء الإنسان.

– فإن الحكومات على إختلاف أغراضها وألوانها تجد مؤيدين من كل الطبقات وتستطيع أن تعيش مسنودة بأغلبية برلمانية، طالما كان بقاءها في الحكم مسنوداً مكفولاً من الخارج أو على الأقل مأمولاً.

* ولقد تمثل الشعب بسادته وكبرائه في نفاقهم وسوء أخلاقهم، فعم الفساد وفشا الرياء، وضاعت الأخلاق والكرامات، ولم يبقى في الشعب من له ذمة أو ضمير إلا القليل.

* ومن المؤلم أن نجد كثيراً من شباب الأمة وجيلها الحديث ينظرون الى هؤلاء الذين يتمسكون بالفضائل على إعتبار أنهم قوم يحلمون ويعيشون في العصور البائدة، ويعتقدون أن المدنية والتقدم، هي في التحلل من كل شئ من الخلق والكرامة، ومن الذمة والضمير، بل التحلل من الشفقة والرحمة ومن الأدمية والإنسانية.

* إن الكثير من الشباب اليوم فارغوا النفوس والقلوب والرؤوس فلا علم ولا عمل ولا دين ولا إيمان وهم لا يجدون إلا تزجيج الحواجب وتصفيف الشعر، وإختيار الملابس والتشبه بالممثلين والممثلات وإرتياد المحلات العامة والأندفاع وراء الشهوات.

والناس اليوم يستحلون كل شئ مادام يؤدي للغاية

– فالسرقة والرشوة والأختلاس وبيع الأعراض والكرامات والمساومة على المصالح.

– والتستر على الخيانة والفساد وإسكات صوت الحق، كل ذلك جائز مادام يؤدي للمال أو الجاه أو كراسي الحكم.

– وكل فرد يحسد غيره ويتمنى أن يحل محله، والفلاح الصغير يحسد المزارع الكبير، والعامل يحسد صاحب العمل، والفقير يحسد الغني ويتمنى كل أن يكون له ما للمحسود من مال ونعمة. بل ولا يرى بأساً من ان يحصل على ما يتمناه دون حق ودون جهد وعن طريق غير مشروع.

ثالثاً: أوضاعنا القانونية:–

* اما قوانيننا التي نحتكم إليها والتي فرضت علينا وما أنزل الله بها من سلطان.

يقول عبد القادرعودة :-

* والأصل الأول للقانون هو ان قانون كل أمة إنما ينبثق منها ويرجع إليها، إنه قطعة من ماضيها الطويل وحاضرها الماثل، إنه يمثل نشأتها وتطورها ويمثل أخلاقها وتقاليدها ويمثل أدابها ونظمها ويمثل دينها ومعتقدها... ولكن هذا الأصل الأول للقانون أهمل الى حد كبير في القوانين الوضعية السارية في مصر وكثير من بلاد الإسلامية.

* فقد نقلت القوانين الأوربية بحذافيرها ودون تعديل يذكر الى هذه البلاد، وجعلت قوانين ملزمة في بلاد يسودها الإسلام يحكمها ثلاثة عشر قرنا ويزيد. ويتعبدون بإقامة شعائره وأحكامه وعصيان ما خالفه من الأوامر والأحكام.

* ويقول: فجاءت قوانينهم غريبة على البلاد الإسلامية، لا تتصل بماضيها ولا بحاضرها ولاتمثل نشأتها وتطورها ولا صلة لها بعادات أهل البلاد وتقاليدهم، ولا ينعكس عليها شيء من أدابهم وأخلاقهم ولا مكان فيها لأديانهم وعقائدهم.

- إن قوانيننا معشر المسلمين غريبة عنا، نقلت الى تربة غير تربتها، وجو غير جوها.
- وأناس لا صلة لهم بها يرتابون فيها ويتجهمون لها بل ينكرونها ويتقربون الى الله بدمها.
- أنها قوانين تبعث على الكفر وأوضاع تحرض على الإلحاد وأنظمة تؤدي إلى الإباحية والتحلل.
- أنها لا تنتسب للإسلام بنسب، ولا تمت للبلاد الإسلامية بنسب. انها قوانين لا تقوم على أصولها ولا يرجع نسبها الينا.

* أذن الآن أصبحت مقولة فصل الدين على الدولة وشعارات لا دين في السياسة ولا السياسة في الدين ترفع دون حياء ودون وجل من الرؤساء والملوك وجهلة العوام على حد سواء. وفصل الدين عن الدولة وانزوى الدين في نطاق الشعائر والتراتيل عند قوم. واستعلى عند آخرين فذاقوا البأسة والنكال من الطواغيت.

- وسكتت الجماهير وكأن لا علاقة لها بالأمر.
- وأنقسم العلماء بين الساكت... ! وآخر مؤمن خائف لا يجرؤ على الكلام، ولا حول ولا قوة الا بالله.
- ناهيك عمن سار في ركب السلطان يهرج له ويبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.
- وقام الطواغيت فوق رقاب المسلمين في شتى بلادهم يلتف حولهم جماهير المسبحين بحمد السلطان من ملك أو امير أو رئيس...
- وخنقت في هذه الزحمة أصوات الحق.

رابعاً: وأما عن مصائب المسلمين:-

* بهذا البعد عن الله فقد توالت المصائب على البلاد الإسلامية.

- فمنذ أن سقطت الخلافة التي آلت في آخر أيامها الى هيكل شكلي فحسب ومع ذلك لم تنج من مكر الماكرين، وتوالت النكبات، واحتلت معظم بلاد المسلمين، وكافح المؤمنون من أبناء هذه الأمة حتى تحقق الأستقلال في معظم تلك البلدان، ولكن بعد أن حقق ذلك الإستعمار جل أهدافه.

- فقد ترك لنا طبقة من العلماء والتابعين والكفرة والمارقين، يلوكون أفكار الغرب ونظرياته ويمجدون إنجازاته ويباركون تبعيته.

- وظهرت الأفكار الشوهاء، على رأسها فكرة القوميات المقيتة وتشدق المتشدقون بالقومية في البلاد الإسلامية وأصبحت شعار الكل على إختلاف مشاربهم السياسية.

- فانحاز كل قوم لقوميته وطالب الكل بكيانه... وهكذا تمزقت الأمة... ورزحت بلاد تحت الإحتلال الروسي وأخرى تحت الصيني، ووقعت فلسطين تحت الإحتلال اليهودي وتكرس الإحتلال وسقطت القدس نصف إثر أخر.

- ولم يحرك لهذا أحد ساكناً، وسقطت قطع أخرى من البلاد تحت الإحتلال ولم يكن نصيبها من النجدة أكثر من أختها...

- واستهدف المسلمون في كل مكان، وهاهم يذبحون في الهند وفلبين واريتريا يتعرضون لحملات التنصير في أفريقيا واندونيسيا...

- وينكل بالدعاة الصادقين في كل المكان ويساقون الى السجون وساحات الإعدام في جو من التكتم الرهيب في باقي بلاد المسلمين الأخرى.

- وحتى تلك التي تعتبر نفسها مستقلة محررة ما زالت تعاني من أشكال الإستعمار الفكري والثقافي والإقتصادي... مأدارة حكامهم أقرب للمحتلين من كونهم أبناء البلد في سلوكهم وتصرفاتهم بل هم المحتلون بالنيابة.

من المسؤل عما نحن فيه الآن.

* كثير من المسلمين المخلصين اليوم يتلفتون باحثين عن حل و خلاص. يتساءلون في حيرة، من المسؤول عما نحن فيه؟؟ و ما الحل؟

* وتتضارب الأقوال ولا تخرج المسؤلية عما نحن فيه عن تحميلها للأستعمار أو الحكام أو الجماهير المسلمين عامة أو علمائهم...

فلنناقش كل واحدة من هذه على حدة:

أولا :- مسؤولية الأستعمار (اليهودية والصليبيون)

* لا شك أن الأستعمار يحمل مسؤولية كبيرة عما تعيشه البلاد الأسلامية و كثير من شعوب العالم الثالث من فقر وتبعية و أزمات و ما ذلك إلا لحرص الأستعمار على مص دماء تلك الشعوب و إبقائها تحت سيطرته ليتمتع بخيراتها مهما جر هذا من شقاء على أهلها..

* ولا نفرق هنا بين أي شكل من أشكال الأستعمار الأوروبي أو الأمريكي أو الشيوعي... فكلهم مستغلون، يميزهم الجشع و الطمع فينا.

* ولقد كان لشعوب الأسلامية النصيب الأكبر من عداء المستعمرين و نكالهم و ذلك لما يعلمون من أنه ما وقف في وجه أطماعهم و تسلطهم و أزعجهم و أفسدمخططاتهم شئ مثل ما فعل الإسلام، لقد أرادوا طمس هوية هذه الأمة و محولغتها، ووقف الإسلام حائلاً بينهم وبين المسلمين.

إنظر الى جورج براون وهويقول في كتاب له صدر عام ١٩٤٤.

* لقد كنا نخوف من شعوب مختلفة، و لكنا بعد إختبار لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف لقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي والخطر الأصفر و الخطر البشلفي إلا أن هذا التخوف كله لم يتفق كما تخيلناه.إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا و على هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد، ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا، أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديموقراطية كبرى تقاومها.

* ولكن الخطر الحقيقي كان في نظام الإسلام و في قوته على التوسع والإخطاع و في حيويته... إنه الجدار الوحيد في وجه الإستعمار الأوروبي.لقد عرف المستعمرون عدوهم بالظبط، إنه نظام الإسلام بشموله وكماله و لذلك سعوا الى صرف أبنائه عن حقيقته و حصره في دائرة الشعائر و التعبدات و إبعاده عن روحه الحركية الفاعلة.

- وكانت ضربتهم القاصمة الأولى هي إسقاط الخلافة وكانت نتيجة تعاون صهيوني صليبي...

_ وابتدأ الإستعمار جولته الثانية... علمنة المسلمين، و تخطيط لضرب طلائع البعث الأسلامي، وما زالوا يمكرون عبر الحكومات العميلة على إختلاف مشاربها.

-: فالنعرف أعداءنا الذين ما تغيروا على مر التأريخ منذ وجد الإسلام:-

يقول سيد قطب رحمه الله :-

_ (اليهود و الصليبية و الوثنية الملحدة و رؤوس النفاق...) ما تزال هي هي. يهودية ممثلة في إسرائيل و اليهودية العالمية.

_ و صليبية ممثلة في الإستعمار الغربي.

_ ووثنية ملحدة ممثلة في الشيوعية الماكرة.

_ ورؤوس نفاق ممثلة في حكومات عميلة يخيفها الإسلام و تخشاه على عروشها.

_ و لكن كيف نلوم الإستعمار... أنهم أعداءنا، والمعركة معهم تأريخية. و كيف لا نلوم أنفسنا و حكوماتنا، و علماءنا الأجلاء...

و لايلام الذئب في عداونه إن يك الراعي عدو الغنم.

ثانياً:- مسؤولية الحكومات

* تتحمل الحكومات الجاهلية القائمة في بلاد المسلمين اليوم نصيباً كبيراً من المسؤلية عن المصائب التي تعم البلاد و أهلها:-

- فقد قامت تلك الحكومات في الأساس بناء على عمالتها للأستعمار. تلك العمالة التي كانت وما زالت ثمن بقائها في عروشها ظلماً وزوراً على الرغم من الشعوب البائسة.

- ومهما إختلفت الأزياء التي تلبسها تلك الحكومات من تاج ملكي الى لفة أميرية الى جبة رئاسية الى حذاء عسكري... فإنها كلها تمارس الدكتاتورية المطلقة عبر أسر حاكمة مستبدة أو أحزاب مرتدة أو سلطات عسكرية قمعية.

- و يجب أن يكون قد مضى زمان، كان فيه المسلمون من البساطة و حداثة التجربة، بحيث يتوجهون ببياناتهم و نداءاتهم المتكررة الى تلك الحكومات لتخشى لله في عباده ! ولتعمل على مصالح الأمة وخيرها..

ولنجاهد في سبيل وحدتها وتحرير أرضها المغتصبة... فلن تعود الى الوراء لتقرأ للحكومات بيانات بأسم الإسلام وهم بها كافرون.

- لقد تبين لكل مسلم أن هذه الهياكل الحكومية كلها عبارة عن هياكل هشة وضعها الإستعمار في بلادنا، أو قبل بقيامها في السلطة وكفل بقاءها لتنوب عنه شرط تحقق مصالحه.

- فقامت تلك الحكومات النائبة للعدو، بما طلب أسيادهم خير قيام، فخانت الوطن و نكلت بكل مناوئ وحفظت مصالح المستعمر. ووالت أعداء الله وكرست تجزئة الأمة. و تغاضت عن ضياع أجزاء من الوطن بل و ساهمت في قتل أبنائه بشكل أو بأخر.

- و أهم من ذلك كله نفذت رغبة المستعمر في إبعاد الإسلام عن الساحة السياسية و اعتبرته محضوراً تداوله. ولاحقت كل من ينادي به و بذلك ساهمت مساهمة مباشرة في إبقاء أحوال الفساد وقطع دابر الصلاح.

ثالثاً:- مسؤولية جماهير المسلمين:-

* رغم ان جماهير المسلمين هم الخاسر الوحيد في هذه المعمعة فهم مسؤولون و الى حد كبير عما هم فيه و عما وصل إليه الإسلام من التراجع. إن جماهير المسلمين مسؤولون عما إنتهى إليه أمر الإسلام:-

- فما وصل الإسلام الى هذا الذي هو فيه إلا بجهل هذه الجماهير للأسلام و بإنحرافها شيئاً شيئاً عن الإسلام حتى كادت تنسلخ عنه دون أن تدري أنها إنسلخت عن الإسلام.

- إن جماهير المسلمين قد ألفت الكفر و الفسق و الإلحاد،حتى ترى كل ذلك فتظنه أوضاعاً لا تخالف الإسلام. أو نظن أن الإسلام لا يعني بمحاربة الفسق و الكفر والإلحاد و لا يعنيه من أمر ذلك شئ.

* إن الإسلام يوجب على المسلمين أن يتعلموا الإسلام وأن يتفقهوا فيه أن يعلم بعضهم بعضاً ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ التوبة:١٢٢.

* ولطالما نفرت طوائف من المسلمين فأنذروا قومهم، وحاولوا تفقيههم في الدين، و لكن -حكومات بلاد المسلمين- أخذت على نفسها أن تحارب هذه الطوائف و أن تحول بينها و بين ما يوجبه الإسلام إرضاءً للأستعمار و طاعة للطواغيت و موالاة لأعداء الإسلام.

* و رضيت الجماهير هذا الوضع من الحكومات و ما كان لها أن ترضاه فشارك الجمهور الحكومات في خنق الإسلام، وهدم الجماعات العاملة للإسلام.

* إن جماهير المسلمين قد فقدوا العزة و القوة والكرامة، فهم يعيشون عبيداً للأقوياء، و عبيداً للإستعمار و عبيداً للحكام، يسلبونهم أقواتهم و يستنزفون قواهم و يدسون كرامتهم و يهدرون حريتهم وما أُتي المسلمون إلا من تركهم بين القوة والعزة والكرامة و لو عادوا لعادة لهم القوة التي فقدوها و العزة التي حُرموها و الكرامة التي يتطلعون إليها.

* إن جماهير المسلمين في غفلة قاتلة إنهم في غفلة عن دينهم و في غفلة عن دنياهم و في غفلة عن أنفسهم.ويوم تفتح أعينهم على الحقائق سيعلمون أنهم خسروا دنياهم و أخرتهم بما فرطوا في جنب الله، و ما انحرفوا عن كتاب الله.

* فهذه هي حالنا وما نحن فيه، بسبب المستعمرين و غدرهم، والحكومات و جورها، وجماهير المسلمين و عراضهم عن دين الله.

* ولكن: و رغم كل هذا الليل المظلم من الطغيان و الضعف والتشتت السياسي والفكري و النفسي الذي يعيشه بناء الإسلام. كانت وما تزال جماعات من المسلمين هنا وهناك ظاهرة على الحق متمسكة به لا يضرها من خالفها، لامن خذلها. وبقيت على الرغم من الضعف تصدع بالحق و تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر..

* وما زالت عظمة هذا الدين و قدسيته في نفوس الغالبية الساحقة من أبناء المسلمين رغم أنها صورة مشوهة تحتاج الى كثير من الصقل والإيضاح.

عادت الى الإسلام على أيدي دعاته المخلصين:—

- فإقبال على المساجد و لا سيما من الشباب
- وانتشار الكتاب والفكر الإسلامي.
- وحركة نشطة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.
- وخطب ومواعظ
- وحركات و إنتفاظات و مطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية هنا وهناك
- ودعوات لنبذ الحلول المستوردة التي أثبتت إفلاسها.
- وفرضت هذه الظاهرة نفسها على الجميع، تلك التي اصطلح على تسميتها (الصحوة الإسلامية).

الصحوة الإسلامية الى أين؟؟

● فإذا أردنا أن نستعرض مظاهر الصحوة الإسلامية التي يعيشها العالم الإسلامي وخاصة في السنوات الأخيرة يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: عودة فهم شامل للأسلام كنظام متكامل للدنيا والأخرة لدى كثير من الناس وزوال الغبش وسوء فهم الإسلام الذي ساد في الفترة الماضية ولاسيما في أوساط المثقفين.

ثانياً: إنتشار المظاهر الإسلامية الحية بشكل ملحوظ كأزدحام المساجد في الجمع والدروس والمواعظ والندوات، وخاصة أن جلهم من الشباب وإزدياد نسبة المتحجبات وبروز ظاهرة اللحى والإلتزام في السلوكيات.

ثالثاً: ظهور كتابات إسلامية على مستوى عال من الوعي الفقهي والحركي للإسلام وإنتشار كتابات أخرى ملتزمة في الأدب والفنون الأخرى وبأسلوب عصري مفهوم مناسب.

رابعاً: إنتشارهذا الوعي في الطبقة المثقفة والمتعلمة تعليماً عالياً.

خامساً: إنتشار الكتاب الإسلامي والمجلة الإسلامية وظاهرة الإقبال على إقتنائها ومطالعتها.

سادساً: إنتشار ظاهرة تدخل الإسلاميين في السياسة وصدامهم مع الحكومات الجاهلية، وبروز المطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية بدل أنظمة الحكم والقانون الوضعي الكافر.

● هذه إجمالاً وما يتفرع عنها هي ما يمكن إعتبارها مظاهر لهذه الصحوة الإسلامية والتي تميزت بمميزات إيجابية وأخرى سلبية نلفت النظر إليها إنشاء الله في المحاضرات القادمة.

المميزات الإيجابية للصحوة الإسلامية:

أولاً: الأصالة:

● إن هذه الظاهرة التي شغلت العدو والصديق ليست طفرة وهذا ما يرهب أعداءها. فهي صحوة متأصلة الجذور ترتكز الى جماهير عريضة تحمل للإسلام كل حب وتقديس وإن كان بصورة غير واضحة. وتمتد أفقياً في طبقات علمية متنوعة المستويات، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فهي تعود للأيام التي شهدت سقوط الخلافة وبداية الغزو الصليبي لعالم الإسلامي، حيث مرت الحركات الإسلامية في تجارب شتى أكسبتها المران والأصالة.

ثانياً: قيامها على كوادر مثقفة ومعلمة:

● إن شباب الحركات الإسلامية هم رواد الصحوة الإسلامية وطلائعها. من الملاحظ بشكل لا يخفى أن هذه الكوادر

الشابة هي كوادر مثقفة و متعلمة، وصل معظمها الى مستوى الدراسات الجامعية والأختصاصية في شتى العلوم مما يكسب هذه الصحوة بعدا أعمق في اوساط المثقفين والمتعلمين لأحتكاكهم بأبناء الحركة الإسلامية. ولهذا أثر كبير في التقدم النوعي فضلاً عن الكمي الذي حازته هذه الصحوة المباركة.

ثالثاً: الوعي السياسي:

* لقد رافق إمتداد الصحوة الإسلامية وعياً لا بأس به لبعد الإسلام السياسي، فهماً عميقاً لمشاكل المسلمين السياسية المعاصرة.

* إدراك لما يحاك على الإسلام وشعوبه من مؤمرات سياسية من قبل أعدائه الصهاينة والصلبين والملحدين الشيوعين وفئات النفاق الوطني مما يكون له أكبر الأثر في معرفة الداء ووصف الدواء إنشاء الله

رابعاً: طرحها لمواضيع حساسة كالحكم و الجهاد:

* لعل أهم ما يدل على جدية هذه الصحوة الإسلامية، وفهمها العميق، إثارتها لأمور أساسية ذات إرتباط وثيق بمشاكل الإسلام المعاصرة، فلم يعد النشاط الفكرى و الإعلامي مقتصراً على زوايا ضيقة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما يخص ظواهر الإنحلال والفساد الإجتماعي، بل تعداه الى نقد القائم على أساس شرعية لواقع المسلمين الإقتصادي والسياسى والثقافي...الخ

وبتحديد أكبر نقول

* إن طرق الصحوة الإسلامية (لمسألة الحكم) (ولمن يكون شرعاً) (وكيف يكون في بلاد الإسلام) بهذا الشكل الجدي، هو تقدم نوعي يسترعي الإنتباه والتقدير.
* إن هذه القضية وما تقتضيه من تعرض لأمور رئيسية، (من إحتلال جزء من بلاد المسلمين) وتحدي حكامنا لديننا و شعائرنا...الخ، قاد الى إحياء فكرة الجهاد. بشكل لم يسبق له مثيل من قبل.
* وهذه بداية وضع القدم على طريق الصحيح إنشاء الله، فما كانت مصائبنا إلا بأعراض عن الجهاد والركون للدنيا وإنفصال السياسة عن الدين فعلاً. وكما قال أبوبكر الصديق -رضي الله عنه-: **(ما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا)**

المميزات السلبية للصحوة السلامية يجب تجنبها

أولا: العاطفة: ولعلها أبرز مظاهرها السلبية:

* فأن الكبت الذي عاشه المسلمون، والظلم والقهر الذي ذاقوه على أيدي المستعمرين ومن ثم أذنابهم من الحكام المارقين.

* وإفلاس كل الحلول المستوردة من الشيوعية والاشتراكية والوطنية والقومية، بفعل دعاة السوء من المستشرقين والمتسغربين من ابناء هذه الأمة المتشرذمين فكريا.

* وظهور الطرح الإسلامي كحل لما يعانيه الأمة من مشاكل متشعبة.

* والأساس النفسي العاطفي الذي تكنه الجماهير لدينها والذي يتجلى بتقديسها لمبادئه دون فهم عميق.

* كل هذا جعل هذه الصحوة الأسلامية التي طفت الى السطح واندفعت بعنف في المجتمعات الأسلامية، تتسم بالعاطفة بدل العمق والفهم المركز.

ولعل من أبرز ما تجلت فيه أثار هذه العاطفة هو:-

* اندفاع الجماهير في تأييد الثورة الشيعية المتعصبة لروافض ايران.

* اندفاع الجماهير في تأييد صدام والتفاف الأمة حوله لمجرد رفعه لشعار الجهاد ولكلمة الله أكبر.

* لقد كان ذلك الاندفاع جريا وراء العاطفة الصرفة، بعد سماع شعار (لا اله الا الله) وفرار من الهزيمة الروحية والنفسية التي عاشها المسلمون ويعيشونها إثر توالي النكبات عليهم.

ثانيا: تدني مستوى العلم الشرعي:

* تدني مستوى العلم الشرعي لدى جماهير الصحوة: كأمور العقيدة والفقه والسلوك وهذا ملموس في الجماهير المسلمة المؤيدة للصحوة، وحتى في كثير من أبناء الحركة الإسلامية وهو أحد أسباب العاطفية بالطبع.

ثالثا: تدني مستوى التربية الروحية والدينية:

* ان هذه الصحوة التى تقدمت الى حد ما في سوية الفهم السياسي والحركي، لم تتقدم بنفس السوية في ايجاد طبقة عريضة تتحلى بنفس المستوى على صعيد التربية و السلوك والروحانية الحقة ويعود للسلبية السالفة الذكر.

* اذ يمكن القول ان كثيرا من القادة السياسيين للحركة الإسلامية يتصفون بهذه الخاصة وهي تدني مستوى العلم الشرعي والتربية الروحية وقليل منهم من كان عالما محققا ولذلك حققت الحركات الإسلامية بعض التطور في المجال السياسي والحركي وبقيت تعاني من القصور في ذلك الجانب الأساسي.

رابعا: عدم الإستفادة من التجارب السابقة والإفتقار الى التكامل:

* فأننا نجد المسلمين و قد مروا بتجارب قيمة دفعوا فيها الدم و عانوا الآلام في بقعة من بقاع المسلمين، ثم تكررت المحنة ذاتها وصارت بنفس المنهج دون أن يستفيد المسلمون من تجارب المنطقة الأخرى.

* والأنكى أن تتكرر نفس المصيبة في نفس البلد مرتان أو ثلاثة، و يعود الناس ليلدغوا من جحر طالما لدغوا منه و كأنهم لم يمروا بتجربة و لم يدفعوا ثمنا.

* ويحقق المسلمون تقدما في منطقة ما ويحقق آخرون تقدما آخر في منطقة آخرى، ولا أحد يسعى الى تكامل المعطيات والتجارب.

* كل هذا بسبب حالة التشرذم الكتلي الذي تحول في مستوى من مستويات الى تشرذم حزبي ما أنزل الله به من سلطان.

* هذا إجمالا وما يتفرع منها هي أهم مميزات السلبية للصحوة الإسلامية والله أعلم.

قيادات الحركة الإسلامية وأثر دورها في الصحوة

• الحركات الإسلامية بلا شك و قياداتها بشكل عام، هي رائدة الصحوة الإسلامية و طليعتها و الدعامة الأساسية التي قامت عليها بما قدمته للمسلمين من مؤلفات ومناهج في مجال الفكر النظري و بما قدمته من شهداء و ضحايا وما عانته من نكبات و المحن في المجال العملي. وهي التي أخذت على عاتقها إعادة إفهام المسلمين دينهم بشموله وكماله و بعده الحركي والسياسي فضلاً عن بعده الديني و الشعائري.

• و نستطيع القول: أن الشعارات و الأهداف التي رفعتها تلك الحركات الإسلامية علىإختلاف أسمائها و قاداتها تكاد تكون واحدة إجمالاً، هي العمل على إقامة الحكم الإسلامي و إعادة مفاهيم الجهاد و الحض عليها، وإيجاد مناهج تربوية للرقي بأفرادها الى سوية مناسبة لتلك الطروح، و تكاد لا تخلوا بلد إسلامي من دعاة وحركات تسعى البعث الإسلامي و تعمل على بث الوعي و إستنهاض الهمم في نفوس المسلمين لأعادة مجد الإسلام.

• ولقد كان تلك الإيجابيات التي حققتها تلك الحركات الإسلامية على يد دعاتها المخلصين و أبنائها الذين تحلوا بالفدائية والتضحية و الإقدام، وقدموا في مواطن شتى أمثلة تذكر بجيل الصحابة و التابعين الأوائل في نصاعتها... كان لذلك نتائج أصبحت ملء السمع والبصر.

• إلا أن الملاحظ بوضوح، أن كثيراً من الحركات الإسلامية مالت في طروحاتها و نهج قادتها بالذات في السنوات الأخيرة لتسير في خط بياني لا يناسب تلك التجربة الفذة الزاخرة.

• ظهرت بوادر شاذة يمكن القول أنها تجاوزت أحياناً في إنحرافها الحد المعقول، لتسجل تباعداً قياسياً عن الأهداف والمبادئ و الشعارات المرفوعة من قبل رجال الحركة الأوائل في نضافتها ووضوحها على مستوى الطروحات الفكرية والتصرفات العملية والتجاوزات الشخصية من أشخاص قيادات الدرجة الأولى.

ظواهر سلبية في دور قادات الحركة الإسلامية

• تجلت هذه الظواهر السلبية في تصرفات ومواقف و بوادر شتى يمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولاً: موقفها من الحكم و الحكومات.

قضية الحكم

الموقف من الحكم و الحكومات.

_ دخول الحكومات الجاهلية بشكل مباشر والتعاون معها و مشاركتها في الحكم.
_ دخول الحكومات الجاهلية بشكل غير مباشر
_ إستغلال بعض الإسلامين من قبل اليمين السياسي ضد اليسار السياسي.

ثانياً: التجاوزات السياسية على حساب الشرع:

_ تأييد الثورة الشيعية الرافضة الإيرانية.
أحد مفكري الإخوان المسلمين: الأستاذالبهنساوي.
فتحي يكن
الفتوي التى أصدرتها أزهر.
الشيخ محمد الغزالي.
_ عصام العطار أحد الزعماء التارخين لحركة الإخوان.
حسن الترابي.
راشد الغنوشي.
محمد عبدالرحمان خليفة المراقب العام للإخوان في الأردن.
موقف التنظيم الدولي للإخوان.
الجماعة الإسلامية في باكستان.

ظواهر سلبية في دور قادات الحركة الإسلامية

أولا: موقفها من الحكم والحكومات:

١- قضية الحكم:

● كانت الدعامة الأولى التي قامت عليها الحركة الاسلامية، والفكرة الرئيسية التي نذرت نفسها لإفهامها للمسلمين الذين نسوها هي إن الإسلام دين ودولة، مصحف وسيف، عبادة وعمل وجهاد...

● كانت هذا ما تربت عليه عناصرها وفق مستفيضة مفصلة دعت لها ومضت عليها. وعبر هذه الهوية عرفتها قواعدها وعرفتها جماهير المسلمين كما عرفها اعداؤها وادركوا خطرها وفزعوا الى حربها...

● الا ان توالى الأيام وخاصة العقدين الأخيرين، أبرز مواقف لا تتفق وتلك الطروحات ولا تتناسب مع الراية المميزة التي رفعتها للقضاء على حكومات الردة وإعادة مجد الاسلام وحكومته.

● سجلت الحركة الاسلامية تراجعات كبيرة في موقفه من قضية الحكم في الاسلام، وعدم تبيان حكم لله فيه وفي الانظمة القائمة بشكل واضح وقوي وصريح، وتجنبت ذلك في بلدان شتى وخطت لأبعد من ذلك عند الغالبية من قادة الحركات الاسلامية، فصرحوا انهم لا يبتغون الحكم ولا يعملون له و إنما هم دعاة للإسلام يبينوا احكامه للمسلمين وينصحونهم.

● وبهذا الطرح غاب نهائيا الاعداد العملي والمبرمج لاقامة الحكم الاسلامي على انقاض هذه الانظمة الجاهلية الماثلة، واستبعد هذا كهدف، وكان من الممكن ان يكون مقبولا، لو انهم وضعوا مخططات لاقامة النظام الاسلامي ولو امتد عشرات السنين.

● الا انه برزت نظرية دعاة لا قضاة وعممت حتى شملت اموراً يحتم علينا فيها الاسلام ((ان نكون قضاة لاننا دعاة)) وتفشت هذه النظرية وحملها بعض القادة الاسلاميين اكثر مما رمى اليه صاحبها.

● وبهذا كادت الحركة الاسلامية ان تتحول الى مجرد حركة من جملة الحركات الاصلاحية الكثيرة التي نذرت نفسها التربية ثم التربية...الى ما لا نهاية.



٢-استغلال بعض الحركات الاسلامية من قبل اليمين السياسي ضد اليسار السياسي:

* وفي هذا المضمار التي اشرنا اليها آنفا في قضية الحكم (أي نظرية دعاة لا قضاة)، ظهر الاتجاه للإهتمام بأصلاحات جانبية تخص مقاومة الفساد الإجتماعي و التحلل الأخلاقي.

* كما ظهر الإتجاه لمقاومة التيارات الشيوعية و اليسارية و الأفكار الواردة الأخرى بشكل جعل الحكومات تستغل هذا الإتجاه لصالحها أحسن إستغلال.

و في هذا يقول الدكتور عبدالله النفيسي:

* يريد اليمين السياسي أن يجعل العالم السياسي و صحفه و مجلاته و مؤسساته و منظماته الطلابية وسيلة لتكريس أوضاعه السياسية المنحرفة تحت شعار التصدي لليسار الدولي

* لذلك يبذل اليمين السياسي المرتبط بالكتلة الغربية جهودا كثيفة لتوظيف العمل الإسلامي في مهمة التصدي لليسار الدولي و تضخيم مخاطره دون أن يسمح للعمل الإسلامي أن يحقق مكاسب فعلية و يعيد الأمر لصالح مستقبل الإسلام كنهج أممي مستقل عن العالم الرأسمالي.

و يقول تحت عنوان: (تجريد العمل الإسلامي):

* يريد اليمين السياسي تجريد العمل الإسلامي من كل إمكانيات الإستمرار و من كل إمكانيات الردع و ذلك لتحقيق أكبر قدر ممكن من الإنكشاف يسمح بضرب العمل الإسلامي في الوقت الذي تحدده مصلحة اليمين السياسي و من يوجهونه خارج المنطقة.

* لقد نجح اليمين السياسي **-سليل المنافقين-** لفترة غير قصيرة في توظيف الدعوة الى الإسلام لتكريس أوضاعه السياسية المنحرفة في غفلة من الدعاة.

* **و يقول**: و من الملاحظ أن العمل الإسلامي في صورته الحالية قد طور قدراته ووظف الكثير من وقته لمعالجة قضية التحلل الاجتماعي دون أن يعالج سياقها السياسي و الاقتصادي الذي يتبدى على شكل نظام يجنح نحو الطغيان السياسي، ويقوم وضعه الاقتصادي على معادلة غير متوازنة في توزيع الثروة.

وبكل وضوح نقول:

* ان كل الجهود الحالية المبذولة في سبيل انتشال المجتمعات الاسلامية من تحللها الاجتماعي لن تثمر اذا لم يباشر العمل الاسلامي في المهمة الحساسة والدقيقة وهي مواجهة الطغيان السياسي ومشكلة سوء توزيع الثروة.
* ويجب ان يكون موقف العمل الاسلامي موقفا كليا شاملا مستمدا من كلية وشمول الاسلام، وهذا الموقف الكلي الشامل الذي نأمل ان يباشر به العمل الاسلامي إزاء قضايا العالم الاسلامي وجماهيره وهو مفتاح مغاليق العمل الاسلامي مستقبلا.

العمل في الحقل الفكري للفقه الاسلامي:-

* إن هذا الاتجاه في الإبتعاد عن قضية التصدي لقضية إقامة الحكم عمليا التي اشرنا اليها النقاط السابقة (أي نظرية دعاة لا قضاة) ظهر أيضا في العمل الفكري الصرف لإقامة الإسلام في صورة مؤلفات فقهية وشرعية وفكرية. تفتقر للاتجاه العملي في إقامة نظام الإسلام.

ولقد نبه سيد قطب رحمه الله لهذا فهو يقول:-

* ان العمل في الحقل الفكري للفقه الاسلامي عمل مريح لانه لاخطر فيه ولكنه ليس عملا للاسلام ولا هو من منهج هذا الدين. ولا من طبيعته وخير للذين ينشدون الراحة والسلامة ان يشتغلوا بالأدب واللغة والتجارة.
* أما الاشتغال بالفقه الان على ذلك النحو بوصفه عملا للاسلام في هذه الفترة فأحسب والله أعلم انه مضيعة للعمر وللاجر ايضاً.
* إن دين الله يأبى أن يكون مجرد مطية ذلول، وخادم مطيع لتلبية مطالب هذا المجتمع الجاهلي المتنكر له الشارد عنه، الذي يسخر له الحين بعد الحين باستفتائه في مشكلاته وحاجاته، فهو غير خاضع لشريعته وسلطانه.
* إن فقه هذا الدين وأحكامه لا تنشأ في فراغ ولا تعمل في فراغ، وان المجتمع المسلم الخاضع لسلطان الله ابتداء الذي صنع هذا الفقه، وليس الفقه هو الذي صنع هذا المجتمع، ولن تنعكس الآية ابدا.
* إن خطوات النشأة الاسلامية و مراحلها هي دائماً واحدة، والانتقال من الجاهلية الى الاسلام لن يكون يوما ما سهلا ولا يسيرا.
* ولن يبدأ من صياغة الاحكام الفقهية في الفراغ، لتكون معدة جاهزة يوم يقوم المجتمع الاسلامي والنظام الاسلامي.

* ولن يكون وجود هذه الاحكام المفصلة على الجاهز والناشئة في الفراغ هي نقطة البدأ في التحول من الجاهلية الى الاسلام.

* وليس الذي ينقص هذه المجتمعات الجاملية لكي تتحول الى الاسلام هو الاحكام الجاهزة.

* وليست الصعوبة في ذلك التحول قاصرة عن قصور أحكام الفقه الاسلامي الحاضر عن ملاحقة حاجات المجتمع المتطورة، الى آخر ما يخادع به بعضهم ويندفع به بعضهم الآخر. (انتهى كلام سيد قطب رحمه الله).

* صحيح ان بعض هذه الجهود الاصلاحية في المجال الاجتماعي وهذه الجهود الفكرية والفقهية قد اثرت في انماء الصحوة الاسلامية واسهمت فيها، إلا انه يبقى توجيه هذه الجهود لكي يقوم النظام الإسلامي على انقاض هذه الانظمة عبر عمل مبرمج وفاعل وشامل وإلا فمكاننا سنراوح.

يقول عبدالله النفيسي في كتابه (السياسة الشرعية):

* هذا الاندفاع العام نحو الاسلام اذا لم يتم توضيفه سياسيا لصالح قضية الاسلام الاممي المستقبلي، فلن يحصد منه المسلمون الا العرق والدم.

- هذا التزاحم في المساجد.
- وهذا الإقبال على الكتاب الاسلامي.
- وهذا القلق المبارك على الدعوة.
- وهذا الدعم الجماهيري المادي والمعنوي لحركة الإسلام...

* كل هذا اذا لم تضبطه أهداف عامة، واضحة وصريحة ومعلنة ومؤصلة، إذا لم يتمحور حول قضايا سياسية واجتماعية واقتصادية يعيشها الجماهير، قضايا تكتوي بها الجماهير تكون مدخلا مناسبا إليها. حوله وبالقرب منه يتم الطرح الاسلامي.

* أقول إذا لم يحدث هذا فإننا نضيع فرصة تاريخية قد لا تتكرر هيأها الله لدعوته ولحزبه...

الموقف من الحكومات

● أختلفت مواقف الحركات الإسلامية من الحكومات الجاهلية المرتدة في الشكل واشتركت كلها في أنها لم تقف الموقف الذي تمليه شعاراتها وأهدافها التي دفعتها وربّت عليها قواعدها وجماهيرها، ولقد ظهرت هذه المواقف في عدة أشكال أهمها:

١ - دخول الحكومات الجاهلية والتعاون معها ومشاركتها في الحكم:

● و هذا ما فعلته بعض الحركات الإسلامية زعما منها أنها تريد الإستفادة من أجواء الديمقراطية المتاحة لقطع مرحلة تخدم الإسلام و المسلمين...

● أما مواقف التمايز و المفاصلة و تبيان الجاهلية من الإسلام و إستبعاد إنصاف الحلول التي تحدثنا عنها..فما هم من ذلك في شيء...

● ولا ندري بماذا تسمى مثل تلك الحكومات المزيجة من الجاهلية و الإسلام.

● وبقي هؤلاء يبررون هذا بأنه سياسة تدرج وإفادة من الظرف، ومرحلة الخطوة خطوة.. واستطاع هؤلاء أن يحققوا فعلا بعض المكاسب الجزئية الحقيقية بتطبيق بعض الأحكام الإسلامية الفرعية، وبحث موضوع تطبيق الشريعة في البرلمانات.

● والإمتداد افقيا في الجماهير، الا أنها بقيت مكاسب محجمة بالخطوط الحمراء التي تسمح بها السلطات المرتدة نفسها.

● فهل كانت المكاسب على مستوى التراجعات النوعية والتي كان أبرزها قبول الوجود في تلك الهيآت و ما مدى شرعية هذا النهج... و ما مصيره حتى الان؟

● من أوضح هذه الممارسات تجربة الأخوان في الأردن التي وصلت بهم لدخول البرلمان ثم إشتراك بخمس حقائب وزارية في الحكومة من بينها وزارة العدل!! وزارة الحكم بغير ما أنزل الله...

● وكان من ثمن هذه المكاسب التصريح بإيمان وإسلام الملك! والجهر بولايته والوقوف معه.. وسلسلة من التنازلات المبدئية الخطيرة.

٢- دخول الحكومات الجاهلية بشكل غير مباشر:

* دخول الحكومات الجاهلية بشكل غير مباشر، هو أسلوب آخر مارسه ويمارسه الإسلاميون عبر مطالبتهم بتشكيل أحزاب على شكل معارضة...يوصلون بموجب صلاحياتهم صوت الحق ويطالبون بتطبيق الشريعة...الخ.

*وقد حصل هذا من قبل بعض الحركات الإسلامية مؤخرا ولعل أبرزه ما فعله الإخوان المسلمون المصريون في الآونة الاخيرة بتحالفهم مع الاحزاب العلمانية، بعد أن فشلوا في الحصول على أذن من الطاغوت يرخص لهم بأنشاء حزب أسلامي أخواني سياسي كما يريد قادتهم.

*وشبيه به بل أسوأ منه ما فعله الاخوان المسلمون في سوريا بدخولهم التحالف الوطني مع الاحزاب المرتدة لمتابعة المعارضة و النضال ضد النظام الطاغوتي القائم في سوريا. ثم تطور ذلك للتحالف مع النصيرية أنفسهم ومع الشيوعيين.

والمتأمل في هذه الظاهرة يرى أن من اهم اسبابها أمران اثنان:

الاول: تسرب الافكار الديمقراطية الغربية الى رؤس الكثير من قيادات الحركات الاسلامية واعتقادهم ان هذا طريق لتحقيق أغلبية اسلامية تؤدي الى تطبيق الشريعة وقيام حكم اسلامي بطريق سلمي متحضر.

الثاني: هو الهزيمة النفسية التي يعاني منها الاسلاميون بعد توالي النكبات وأعمال القمع و النكال عليهم من قبل الحكومات، طالما انهم بقوا متمسكين بأصواتهم وهويتهم الرافضة المتميزة، ثم شعورهم بالعجز عن امكانية التغيير عن طريق المجابهة نظرا للفاقة والضعف.

أنتشار فكرة خبيثة على ألسنة العديد من رجال الحركة الاسلامية:

* نتيجة لهذه الافكار التي أشرنا اليها في النقطة الاولى والثانية انتشرت فكرة خبيثة على ألسنة العديد من رجال الحركة الاسلامية، مفادها:

* ان حالة التبعية التي تعيشها بلاد المسلمين للكتل الكبرى الاستعمارية يجعل من المستحيل أن تقوم دولة مهما كان طرحها دون موافقة هذه القوى العظمى وخصوصا -أمريكا- عليها.

* وهذا يدعونا الى الدخول في التحالفات، أو أتخاذ أغطية علمانية تشعر هذه القوى أننا لسنا متطرفين كما يحسبون. بل أصبحنا ديمقراطيين أو وطنيين أو قوميين...الخ.

• وذلك بدخولنا في تلك الكتل الوطنية، وبالتالي يسمحون بوصولنا للسلطة وعندها سنطبق الاسلام لأن الغالبية العظمى من أبناء الشعب تفضله بعد الوعي الذي أحرزته بفعل جهود الدعاة.

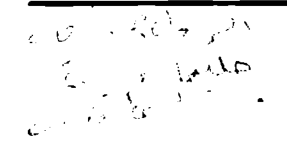
السؤال الذي يطرح نفسه

• إذا كانت أمريكا لا توافق على قيام نظام اسلامي وروسيا كذلك وأذيال الشرق والغرب وكل شيطان رجيم فأين الله...؟!!! وهو سبحانه يوافق بل يقضي بقيامها ويناصر من يعمل على ذلك.

• وهو جل وعلا أخبرنا عن الحالة الوحيدة التي يرضى فيها أعدائنا عنا فقال: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ ثم يقول لنا في نفس الاية: ﴿قل ان هدى الله هو الهدى﴾ ويبين لنا جزاءاتباعهم: ﴿ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جائك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير﴾.

• وهذا بالضبط ما وقع لهؤلاء الدعاة في محاولتهم إرضاء اليهود والنصارى وأذيالهم باتباع جزء من ملتهم. واستيراد بعض أفكارهم الشوهاء– كالديمقراطية والقومية– حتى يقبلوا طرحهم ويرضوا عنهم.

• لقد تحقق لهم حتى الان الجزاء الموعود..ما جاءهم من الله من ولي ولا نصير، ولو جاءهم لحققوا شيئاً وهم يرتكزون على أكثر من ستين عاما من عمر الدعوة والتجارب الاسلامية.



الموقف من الحكومات

٣- التجاوزات السياسية على حساب الشرع

● وهذا أمر ملاحظ أيضاً، وتدخل تحته كل الانحرافات الفكرية التي دخلت رؤوس بعض القادة، وقد ظهرت هذه التجاوزات بفعل ما سمي المصلحة و الضرورة، لقد كشفت هذه السلبية سوأة من سوءات الحركة الإسلامية.وهي:

إفتقار الكثير من قياداتها للفهم الشرعي و العلمي الإسلامي الأصيل.

وكشفت أن الكثير منهم مجرد رجال سياسة و حركة وليسو علماء محققين.

بل إن الكثير منهم يحملون الكثير من العقائد الفاسدة.

وهذا مثال خطير لخطى تردت فيه الحركة الإسلامية :-

● و هو تأييد الثورة الشيعية الرافضة الإيرانية، و الإنزلاق في مؤامرة التقريب.

● إنساق المفكرين و الكتاب الإسلاميين و الحركات الإسلامية في تأييد ثورة أعلنت نفسها مذهبية متعصبة و بنص الدستور وتوالت مواقفها المخزية من الإسلام و المسلمين.

- ألم يكن قادة الإسلام يعرفون شيئاً عن الشيعة؟!!
- عن معتقداتهم عن خلافاتنا معهم في الأصول فضلاً عن الفروع؟!
- عن تقيتهم؟!
- عن باطنيتهم وعن تأريخهم الحافل بالكيد للإسلام و المسلمين؟!
- وما قصة العلقمي ونصير الطوسي مع التتار بخافية على أحد؟!
- وهل قرأوا شيئاً عن كتبهم وعرفوا شيئاً عن رجالهم؟!
- هل كانوا يعلمون بهم وأيدوهم أم كانوا يجهلون؟!

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة، وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم.

● وإن كنا نلتمس العذر لمن أيد مخدوعا أو جاهلاً، فما هو عذر البعض الذي ما زال منساقاً في تأييد إيران وفي إصدارها ثورة إسلامية، و ما زال يدعوا للتقريب معها بعد كل ما قدمته من دلائل على ما قاله فيهم علمائنا الأوائل... عجيب...!!

و هذه بعض الأدلة على تلك المواقف.

* تلك المواقف التي علم بها كل الناس، وكانت وراء سقوط قواعد الحركة الإسلامية كلها – إلا من رحم ربي – في تأييد إيران حتى تشيع البعض وتشكك أخرون وتاه فريق ثالث لا يدري ما يعتقد لو أن رحمة الله تداركتهم.

الأستاذ البهنساوي أحد مفكري الأخوان المسلمين:-

* يقول في كتابه (السنة المفترى عليه) ص٥٧ منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية و التي ساهم فيها الإمام البنا و الإمام القمي و التعاون قائم بين الإخوان المسلمين و الشيعة، وقد أدى ذلك الى زيارة الإمام نواب صفوي عام ١٩٥٤ للقاهرة.

فتحي يكن:

* وفي كتابه (الإسلام فكرة و حركة و إنقلاب) يقول:بعد أن أعلنت إيران الشاه إعترافها بإسرائيل ص٥١، (لابد للعرب أن يلتمسوا من إيران نواب و إخوان نواب لكن الدول العربية لم تدرك هذا حتى الأن).

الأزهر:

* الفتوى التي أصدرها الأزهر بخصوص المذهب الشيعي و قال في جزء منها: إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك و أن يتخلصوا من العصبية بغير حق.. فالكل مجتهدون مقبولون عند الله.

الشيخ محمد الغزالي:- يقول في كتابه (كيف نفهم الإسلام) ص١٥٤

* فإن الفريقين يقيمان صلتهما بالإسلام على الإيمان بكتاب الله وسنة رسوله، ويتفقان مطلقاً على الأصول الجامعة في هذا الدين فإن اختلفت الأراء بعد ذلك في الفروع الفقهية و التشريعية فإن مذاهب المسلمين كلها سواء في أن للمجتهد أجره أخطأ أم أصاب.

* ويتابع: عندما ندخل مجال الفقه المقارن و نعيش الشقة التي نجدها للخلاف الفقهي بين رأي و رأي، بين تصحيح حديث و تضعيفه نجد أن المدى بين الشيعة والسنة كالمدى بين المذهب الفقهي لأبي حنيفة و المذهب الفقهي لمالك و الشافعي.

فمن ألمانيا : الأستاذ عصام العطار:-كتب كتاباً كاملاً يتناول تأريخ الثورة و جذورها.

- يقف بجانبها مؤيداً ويبرق أكثر من مرة للخميني مهنئاً و مباركاً و مؤزراً و انتشرت أحاديثه المسجلة علىأشرطة الكاسيت المؤيدة للثورة.
- كذلك قامت مجلة الرائد التي يصدرها بدور هام في تأييد الثورة و شرح موقفها.

السودان :-

- كان موقف حركة الإخوان المسلمين، وموقف شباب جامعة الخرطوم.. وسافر د.حسن الترابي زعيم الحركة في السودان إلى إيران حيث قابل الإمام معلناً تأييده للثورة.

الأردن :-محمد عبد الرحمان الخليفة المراقب العام للأخوان المسلمين:

- أعلن تأييده قبل وبعد زيارته لإيران، كما طالب زيد الكيلاني الملك حسين أن يسلك طريقه، و أنشد يوسف العظم قصيدته الشهيرة و دعا فيها إلي مبايعة الخميني قائلاً في نهايتها:-

بالخميني زعيماً وإمام هدصرح الظلم لايخشى الحمام

قد منحاه وشاحاً ووسام من دمانا و مضينا للأمام

ندمر الشرك ونجتاح الظلام

موقف التنظيم الدولي للإخوان المسلمين :-

- وجه بياناً إلي المسؤلين عن الحركات الإسلامية في كافة أنحاء العالم و ذلك أثناء أزمة الجواسيس الرهائن جاء فيه: لوكان الأمر يخص إيران وحدها لقبلت حلاً وسطاً.
- ولكنه الإسلام و شعوبه في كل مكان وقد أصبحت أمانة في عنق الحكم الإسلامي الوحيد في العالم الذي فرض نفسه بدماء شعبه في القرن العشرين لتثبيت حكم الله فوق حكم الحكام..
- ويشير البيان إلي رؤية الثورة لمن يحاول أن يفت في عضدها في أنه أحد الأربعة:

إما مسلم لم يستطيع أن يستوعب عصر الطوفان الإسلامي ومازال يعيش في زمن الاستسلام فعليه أن يستغفر الله ويحاول أن يستكمل نقص فهمه بمعاني الجهاد و العزة في الإسلام.

وإما عميل يتوسط لمصلحة أعداء الإسلام على حساب الإسلام.

- وإما مسلم إمعة يحركه غيره بلا رأي و لاإرادة.
- وإما منافق يراهن بين هؤلاء وهؤلاء.

الغزو الصدامي لإيران المسلمة :-

* أصدر التنظيم الدولي للإخوان نداء وجه إلي الشعب العراقي هاجم فيه حزب البعث الكافر – على حد تعبير البيان الذي قال فيه :-

_ (ثورة تحت قيادة إمام مسلم وهو بلا شك فخر للإسلام و المسلمين...) ثم ينادي الشعب العراقي (أقتلوا جلاديكم فقد حانت الفرصة التي ما بعدها فرصة.. ألقوا أسلحتكم وأنضموا إلى معسكر الثورة : الثورة الإسلامية ثورتكم).

الجماعة الإسلامية في باكستان:

* أما موقف هذه الجماعة فقد تمثل في فتوى _ أبو الأعلى المودودي _ حيث قال (وثورة الخميني ثورة إسلامية، و القائمون عليها هم جماعة إسلامية وشباب تلقوا التربية في الحركات الإسلامية و على جميع المسلمين عامة.والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة و تتعاون معها في جميع المجالات).

هل هذه المواقف على علم بالشيعة و إنحرافاتهم أم هي الهزيمة النفسية و الروحية.

* تصوروا با لله هذه الآراء التي وصلت إلي حد الدعوة للإنضمام للشيعة و الحرب معهم
* وإتخاذ إمامهم الرافضي المتعصب الذي سوى بين أئمته و رسول الله ﷺ و فضلهم على سائر الأنبياء و رسله .

وكتب إنحرافات لا تقل عن هذا في كتب معروفة قبل الثورة إتخاذه إماماً للمسلمين.

* ترى هل قرأ القادة و الشيوخ و هم يؤيدونه تلك الكتب أم هي الهزيمة النفسية و الروحية أمام الجاهلية؟ تركت أصحابها يجرون وراء أي سراب مخلص.
* والآن و قد هدأت العاصفة ... لقد تراجع الكثيرون من هؤلاء وللأسف فقد كان تراجع الكثيرين منهم سياسة أيضاً لأن الشيعة خذلتهم و لم تمد لهم يد العون.
* ولم يكن هذا التراجع (إعلامياً) بحجم التأييد الذي إكتسح الشارع المسلم إكتساحاً و أضل ألوف الشباب . ولا حول ولا قوة إلا با لله...

التجمعات الإسلامية و التنظيم

● ومن سلبيات التجمعات الإسلامية أيضاً تحول الوسائل الى الأهداف ومن ضمن هذه الوسائل التنظيم و تحوله اد ى التجمعات الإسلامية الى عمل حزبي بحت، و في هذه المحاضرة نشير الى أهم النقاط الإيجابية في العمل التنظيمي، و..كسه إذا تحولت إيجابيات التنظيم الى سلبيات خطيرة قد تجر المجموعة الى مهالك في الدنيا و الأخرة، نسأل الله العافية، وهذه النقاط هي:-

أ: تعريف التنظيم.

ب: المراد من التنظيم و أهم أركانه.

ج:الأخذبالأسباب وعدم نسيان قوة الله الغلابة.

د: التنظيم وسيلة وليس هدفاً.

هـ: تحول التنظيم الى عمل حزبي بحت.

و : التنظيم الإسلامي تنظيم متميز.

أ: تعريف التنظيم:

● يقصد بالتنظيم التخطيط الذي يشمل كافة قطاعات العمل الإسلامي و أن لا تدع الحركة الإسلامية نفسها للظروف والمصادفات تسيرها سيراً عشوائياً إعتباطياً، تعمل ما لا تريده و تريد ما لاتعمله و تدفع الى سير في غير طريقها، وانما يجب أن تسير:

١- في خط واضح المعالم

٢- محدد المراحل.

٣- بين الأهداف

٤- معلوم الوسائل

● وليس هذا من التهجم على الغيب، أو التألي على الله،أو المعارضة للقدر كما يفكر بعض العوام المتدينين، فإن الإسلام يدعوا الإنسان الى أن يأخذ من يومه لغده، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لسقمه،ومن فراغه لشغله، هكذا ،ظر الإسلام الى المستقبل،

_ وقد حكى علينا القرآن قصة يوسف -عليه السلام- و فيها تخطيط إقتصادي تموين لمدة خمسةعشرة سنة، قام عليه النبي يوسف تفكيراً و تنفيذاً، و لايضيرنا أن مصدر هذه الخطة من إلهام الله ليوسف و تعليمه إياه من تأويل الأحاديث و الرؤيا فهذا لا تأثير له في الحكم المستنبط من القصة و هو شرعية التخطيط للمستقبل الذي ذكره القرآن في معرض التمدح و الأمتنان.

ب: المراد من التنظيم وأهم أركانه:-

وبعد هذا التعريف يمكن الإشارة الى ما يراد بالتنظيم، و الى أهم أركانه في النقاط التالية.

أولاً: يراد بالتنظيم تقدير الزمن و الإستفادة الكاملة منه، بحيث يتقدم الزمن لصالح العمل الإسلامي.

ثانياً: ويراد به ضم قوىأعضاء التجمع الإسلامي بحيث تتماسك و تترابط كالبنيان المرصوص.

ثالثاً: و يراد به رسم خطوات الحركة و متابعتها ووضع معالم العمل، والدراسة المستوعبة لما يراد الإقدام عليه، وتحديد الأولويات.

رابعاً: و يراد به ضبط العلاقات و شؤون الإتصالات داخل التجمع الإسلامي و خارجه.

خامساً: ويراد به تخطيط عمل اللجان المختلفة و الجهات المتنوعة -داخل التجمع- بإتقان و دقة، ووضع اللوائح و الخرائط لعملها.

سادساً: و يراد به تصنيف التراكمات الحركية و الخدمات الدعوية و ترتيبها للحيولة دون ضياع شئ منها.

سابعاً: و يراد به أيضاً وضع الخطط الكفيلة بأعداد الأفراد و تربيتهم بصورة متوازية و تنمية قدراتهم العلمية و الحركية و غيرها....

ثامناً: وأخيراً يراد به أخذ الحذر و الحيطة و كتمان أسرار الحركة الإسلامية حفاظاً على سلامة الدعوة و الدعاة من كيد أعدائها المترصدين.

* إذاً يقصد بالتنظيم تلك المقومات التي تنسق العمل الإسلامي مما تجعله يعطي مردوداً أكبر و حاصلاً أكثر، و بحيث:يحل التخطيط و الإنظباط و الإستعاب و المتابعة محل العفوية و الأرتجال و الفوضوية و بعثرة الطاقات و الأهمال..

ج: الأخذ بالأسباب و عدم نسيان قوة الله الغلابة:

الأخذ بالأسباب سنة من سنن لله في الخلق، شاء -سبحانه وتعالى- أن يُودع في الأسباب تأثيراً و أوجب على عباده أن يأخذوا بها، شرط لا ينسوا قوة لله الغلابة في كل شئ... وبهذا نظم نظام الكون و أرشد عباده الى تنظيم قطاعات الحياة و مجالاتها وفق النظام المذكور.

د: التنظيم وسيلة وليس هدفاً:

* فالتنظيم إذاً وسيلة و ليس هدفا. و قالب للعمل الأسلامي و ليس غاية في حد ذاته. و سبب من تلك الأسباب المتنوعة اللازم الأخذ بها في أهم مجال حياتي ألا وهو الدعوة وإيصال الهدى الى الناس.

و لذا على الأخوة الدعاة أن لايعتبروا التنظيم أكثر من وسيلة من وسائل العمل العديدة، فضلاً أن ينظروا إليه كهدف في حد ذاته الى أن يحصروا إعتناءهم في دائرة ضيقة ما تقتضيه شؤون الدعوة المباركة.

و لايفسروه تفسيراً أو يعرفوه تعريفاً لا ينطبق عليه، كي لا يتعرض العمل الإسلامي المتميز الى مخاطر التي حذرنا الله من الوقوع فيها.

هـ: تحول التنظيم الى عمل حزبي بحت:

* أذا نظرنا الى واقع التجمعات الإسلامية اليوم نرى أن التنظيم أصبح في أي تجمع إسلامي -هدفاً - في حد ذاته، وأن خرج من الحدود التي ذكرناها بل تحول العمل الإسلامي -في ذاك التجمع- الى عمل حزبي بحت.

* و بالأحرى تحولت إيجابيات التنظيم الى سلبيات قد تجر التجمع الى مهالك و تحوله الى تجمع دنيوي بعيد عن هدى الإسلام و يحرفه عن خطه الألهي شيئاً فشيئاً.

و : التنظيم الإسلامي تنظيم متميز:

* إن التنظيم الإسلامي تنظيم متميز بكل مقوماته و عناصره متميز بمعناه و محتواه، فلا بد من ثمّ أن لا تؤثر عليه الأفكار الحزبية الأرضية و الأعراف التنظيمية الجاهلية ولا تتدخل فيه ما يتنافى مع أصول الأسلام و توجيهاته، وهذا لا يعني عدم الأستفادة من تجارب الأخرين فهذا أصل مأخوذ به كما هو معلوم

فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها..

السعيد من إتعظ بغيره

أسباب هذه الإنحرافات وغيرها

• إلام تعود هذه الإنحرافات في إتجاه بعض قادة الحركة الإسلامية؟ إننا اذ نتتبع هذه الإنحرافات وغيرها، فإننا ... أسبابها محصورة والله أعلم في أحد ثلاثة أوجه:-

أولا أن هذه القيادات الإسلامية قد أنهكتها المحن المتوالية وضربات الطواغيت وسجونهم فهزمت نفسيا وأدى هذا الى أنها شاخت وعجزت عن مواكبة التطور المتسارع المتناسب مع المد الإسلامي..

وعجزت بالتالي عن وضع الخطط المناسبة وتشبثت بالعمل الذى تديره.

ثم ورفضت التخلى عن مواقعها في القيادات لمن يقوم بهذا الأمر.

ثانيا – أن هذه القيادات عجزت عمليا عن إعطاء المثل العملى والواقعي في التضحية والفداء لما رفعت من شعارات.

وعجزت عن تكاليف الطرح وبذل الأرواح وتحمل المشاق ولم تعترف بهذا...

ولم تتخل عن قيادتها لمن يقوم وبرر ذلك بأعذارواهية من –ضرورة التعقل –والتريث–والتخطيط السليم..

ووصفت كل الخروج عن نهجها بأنه طيش وجر الى المذبحة.

ثالثا – ونرجوا من الله من قلوبنا ألا يكون كذلك:–

أن القوى العالمية ومخابراتها وأجهزتها الإمبريالية والماسونية قد استطاعت تحديد عمق المد الإسلامي، وأدركت خطورته وأن المارد الإسلامى لابد أن يتحرك...

وأن ينفجر الشباب المسلم في حركات جهاد وفداء قد تستولى على أجهزة الحكم في البلاد الإسلامية.ولن يكون من المجدي دخول الصدام معهم..فعمدت الى حل أسهل وأخبث وهو التسلل الى قلب هذه الحركات عن طريق زرع أشخاص عملاء لها ودفعهم الى سدة القيادة بالطريق المعتمدة لدى هذه الأجهزة الأمبريالية.أو بشراء ضمائر أخرين بشكل أو بأخر، مما أدى الى صرف سفينة الحركة الإسلامية وأبطال فاعليتها.. فبرزت بشكل تصرفات وطروح ... وليس من الضروري أن تكون زراعة العميل لقاء شرائه بالمال أو غيره. لقد تطورت أساليب زراعة العملاء الى إيجاد نوع منهم لا يدري أنه عميل... لقاء إشباع إتجاهات لديه يدفعه به أعداؤنا الى ما يريدون..

السؤال الذي طالما رددته وتردده حناجر المخلصين لهذا الدين: (ما الحل؟؟ وكيف الخلاص؟؟)

• قبل الإجابة على هذا السؤال لابد وأن نقدم لذلك بالحديث عن أمر ذي أهمية كبيرة لإيضاح منطلقات الجواب على هذا ... المصيري، ألا وهو:

١- قضية الحكم.

٢- حكم الدار التي نحن فيها الأن.

الحكم قضية المسلمين الاولى:-

وأن نتصرف

* إن من المسلم به عقليا ومنطقيا أن يحدد الداء قبل وصف الدواء وأن يعرف جرثـوم المرض الاساسي لعلاجه بدلا من أن نتوجه لعلاج كل عرض من أعراض المرض على حده..

* ومما لاشك فيه أن الجرثوم القاتل الذي يعمل في جسد الامة ويسفر عن تلك الأزمـات الفرعيـة مـن-ذل- وهـوان-واندحار-وفقر-وفساد إجتماعي وسياسى واقتصادي-هو (غياب الحكم بما أنزل الله) وخضـوع المسـلمين للحكم بأنضـمة شتى من صنع البشر.

* ولا شك أن وباء (غياب الحكم بما أنزل الله) وخضـوع المسلمين لأنضمة شتى مـن صنـع البشـر مـا زال ماكثـا في بلاد المسلمين يتمثل في حكام وحكومات مارقة عن دين الله، ما زالوا يصرون علـى إسـتبعاد شـرع الله عـن الحكـم في بلاد تدين الغالبية الساحقة من أبنائها بالإسلام.

* ولابد لنا قبل أن نتصدى لقضية الحل من تشخيص الحال التي نحن فيها.. ومن أهم الأسئلة المطروحة:-

* ما حكم الدار التى نحن فيها..

- هل دار إسلام، وبالتالى دار سلم..
- أم دار كفر وبالتالى دار حرب..

* ما حكم الحكام المتسلطين على رقاب المسلمين:-

- أكفار هم أم مجرد حكام مسلمين ظلمة متجاوزين لبعض شرع الله.
- أم كما يزعم البعض فيهم ..مسلمون قائمون بشرع الله!!
- وقبل الخوض في هذه الامور التي أشرنا إليها آنفا، لابد مـن العـودة الى قـول الله الفصـل ودينـه القويـم في قضـايا أساسـية يرتكز اليها الجواب.. ولا محل فيها للأهواء بأسـم المصلحة والسياسة والضـرورة. قضـايا تنبـع مـن صميـم العقيدة ولا بد من تبيانها، علمها من علمها وجهلها من جهلها...

القضايا الهامة التي سنتعرض لها:-

- لمن الحكم والتحاكم..
- مكانة السلطة الإلهية التشريعية في الإسلام..
- حكم من تحاكم الى غير كتاب الله وسنة نبيه.
- حكم من لم يحكم بما أنزل الله..
- أصناف الحكام من وجهة نظر الشرع الإسلامى...

لمن الحكم والتحاكم؟

● ان السلطة الحاكمة في هذا الكون –حسب الشريعة الاسلامية– ليست لأحد غير لله ولا يمكن ان يكون لأحد سواه، وليس لأحد ان يكون له نصيب منها.

وهذه بعض الايات حول هذا الموضوع:-

قال تعالى: ﴿ألم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض ...﴾ البقرة–١٠٧.

وقال: ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾.

وقال: ﴿له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون﴾ القصص–٧٠.

- ﴿ان الحكم الا لله﴾ يوسف:٤٠.

﴿لله الامر من قبل ومن بعد﴾ الروم:٤.

﴿له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور﴾ الحديد :٥.

● وعندما يتحدث علماء الأصول فلا خلاف بينهم على أن الحاكم هو لله عز وجل. إذن في ضوء الأيات وإتفاق علماء الأصول على أن الحاكم هو لله نستنبط ما يلي:-

- لاخلاف بين المسلمين في أن لله تعالى يحكم على عباده فيأمرهم وينهاهم وأن العباد يجب عليهم أن يطيعوه وأنهم يثابون بالطاعة ويعاقبون بالمعصية.

- ومن توحيده عز وجل أن يكون له وحده حق الحكم والتشريع يقول جل وعلا: ﴿ولا يشرك في حكمه أحدا﴾ الكهف.

يقول الشيخ محمد الامين الشنقبطي في تفسير هذه الآية:

● قرأ هذا الحرف عامة السبعة ما عدا ابن عامر (لا تشرك) بالياء المثناة التحتية وضم الكاف على الخبر ولا نافية والمعنى ولا يشرك لله جل وعلا أحدا في حكمه، بل الحكم له وحده جل وعلا ولا حكم لغيره البتة، فالحلال ما أحله الله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه والقضاء ما قضاه.

* وقراءة ابن عامر من السبعة (ولا تشرك) بضم التاء مثناة الفوقية وسكون الكاف للنهي أي: ولا تشرك يا نبي الله أو لا تشرك ايها المخاطب احدا في حكم الله جل وعلا بل اخلص الحكم لله من شوائب شرك غيره في الحكم.

* وحكمه جل وعلا المذكور في قوله: (ولا يشرك في حكمه احدا) شامل لكل ما يقضيه جل وعلا ، ويدخل في ذلك التشريع دخولا اوليا.

* وما تضمنه هذه الاية الكريمة من كون الحكم لله وحده لا شريك له في كلتا القرائتين جاء مبينا في أيات أخرى كقوله تعالى: ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾.

- وقوله تعالى: ﴿وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله﴾.

- وقوله تعالى: ﴿ذلك بأنه اذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا، فالحكم لله العلي الكبير﴾.

- وقوله تعالى: ﴿وكل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾.

- وقوله تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾.

- وقوله تعالى: ﴿أفغير الله أبتغي حكما وهوالذي نزل إليكم الكتاب مفصلا﴾.

- إلى غير ذلك من الأيات.

وعلى هذا الأساس تقوم ركيزة دولة التوحيد يقول أبو الأعلى المودودى:

* (وهذا الأساس التي إرتكزت عليه دعامة النظرية السياسية في الإسلام.

- أن تنزع جميع سلطات الأمر والتشريع من أيدي البشر منفردين ومجتمعين ولا يؤذن لأحد منهم أن ينفذ أمره في بشر مثله فيطيعوه.

- أو يسن قانونا لهم فينقادوا له ويتبعوه، فإن ذلك الأمر مختص بالله وحده ولا يشاركه فيه أحد غيره كما قال عز وجل: ﴿إن الحكم إلا لله أمر أن لاتعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾ يوسف.

- وقوله: ﴿يقولون هل لنا من الأمر من شئ قل إن الأمر كله لله﴾ آل عمران ١٥٤.

- ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ النحل ١١٦.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ المائدة ٤٥.

• وهذه الآيات تصرح بأن الحاكمية لله وحده وبيده التشريع وليس لأحد –وإن كان نبيا– أن يأمر وينهى من دون أن يكون له سلطان من الله .فالنبي لا يتبع إلا ما أوحي إليه ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾.

• وما فرض الله علينا طاعة نبيه إلا لأنه يأتينا بأحكام الله ﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ النساء:٦٤. ﴿وما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله، ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون﴾ آل عمران:٧٩.

الخصائص الأولية للدولة الإسلامية كما تظهر من الآيات

أولا:– ليس لفرد أو أوسرة أو طبقة أو حزب أو مجموعة أو لسائر القاطنين في الدولة نصيب من الحاكمية فإن الحاكم الحقيقي هو الله والسلطة الحقيقية مختصة بذاته تعالى وحده، والذين من دونه في هذه إنما هم رعايا في سلطانه العظيم فما عليهم إلا اتباع أوامره.

ثانيا:– ليس لأحد من دون الله شيء من أمر التشريع والمسلمون جميعا لا يستطيعون أن يشرعوا قانونا (يخالف الشريعة) ولا يقدروا أن يغيروا شيئا مما شرع لهمز

ثالثا:– إن الدولة الإسلامية لا يؤسس بنيانها إلا على ذلك القانون المشرع الذي جاء به النبي من عند ربه، مهما تغيرت الظروف والأحوال والحكومات التي بيدها زمام هذه الدولة فهي أي –الحكومات– لا تستحق طاعة الناس، إلا من حيث أنها تحكم بما أنزل الله وتنفذ أمره تعالى في خلقه ومن هنا تأخذ الحكومات شرعيتها.

• وهذا يتفق مع بديهيات الأمور ، فلماذا يكون من حق الله أن يتدخل في أمور عباده منفردين ولايكون من حقه التدخل في شكل دولة مع كونها الأهم!!

• فهل يعلم الله مصلحة الفرد وخيره وشره ولا يعلم مصلحة الجماعة وخيرها وشرها أو يبالى بأمره ولا يبالي بأمرها؟

* وهذا المفهوم عن سلطة لله في الحكم هو تصور المسلم عن الإيمان بالله... فليس المقصود بالإيمان بالله، الأيمان بوجوده فقط فذلك أمر من بديهيات التي لا يحتاج الى نقاش في منظور الإسلام..

* فنحن نؤمن بوجود الحجر والشمس والقمر، كما نؤمن بوجود أعدائنا إيمانا لا شك فيه، ومن المقطوع به أن المقصود ليس الإيمان بالله إيمانا كهذا... فلقد سجل القرآن الكريم إعتراف المشركين بوجود الله حيث قال:-

- ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ الزخرف :٨٧.

- ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾ الزمر-٣٨.

- ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله، قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ العنكبوت:٦٣.

- بل سجل القرآن إخلاصهم في الدعاء وقت الشدة حيث قال:- ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر إذا هم يشركون﴾ العنكبوت-٦٥.

* فتصور المسلم عن الإيمان بالله

١- أنه موجود متصف بصفات الكمال له الأسماء الحسنى.

٢- وأنه وحده صاحب التشريع في هذا الكون.

٣ -فمن أعطى لنفسه الحق في إيجاد منهج للحياة أو التشريع فقد أشرك وكفر بالله أساسا، واتخذ الهه هواه حتى ولو إدعى الإيمان بالله ورسوله لأنه يكون قد أعطى لنفسه حقا لا يجوز إلا لله تعالى- وهو الحكم على العباد.

* ففرعون حين قال لقومه ما علمت لكم من اله غيري لم يرم من ذلك إثبات أنه هوالذي خلق الكون، أو أنه يستطيع أن يتصرف بالشمس والقمر والريح وفيضان النيل. ولم تكن عبادة الناس له بهذا المعنى وإنما قصده أنه المطاع الوحيد فهم بما له من سلطان.

* وأن كل المصريين كانوا يعرفون أن فرعون ليس له من أمر الكون شيء، وأنه ولد كبقية الناس، وكبر مثلهم وانه لا يستطيع أن يتصرف في الشمس والقمر أو الريح أو غير ذلك. ولكنهم أطاعوه فيما شرع فمن وضع نفسه من الأمة موضع فرعون هذا -موضع مشرع- فقد نصب نفسه إلها عليهم ومن أطاعه عن رضى فقد عبده من دون الله.

مكانة سلطة الله التشريعية في الإسلام

لقد تحدث الشيخ أحمد شاكر عن منكر حد مما شرعه الله عز وجل وهو حد السرقة فقال:-

- (المسألة عندنا -نحن المسلمين- هي من صميم العقيدة و من صميم الإيمان فهؤلاء المنتسبين الى الإسلام المنكرون لحد القطع أو الراغبون عنه سنسألهم :-

أتؤمنون بالله و بأنه خلق هذا الكون؟ فسيقولون نعم.

أتؤمنون أنه يعلم ما كان وما سيكون وبأنه أعلم من خلقه بأنفسهم وبما يصلحهم وما يضرهم؟ فسيقولون نعم.

أتؤمنون أنه أرسل رسوله محمدا بالهدى ودين الحق، وأنزل عليه القرآن من لدنه هدىً للناس و إصلاحا لهم في دينهم و دنياهم، فسيقولون نعم.

إذن فأنى تصرفون وعلى أي شرع تقومون...

- أما من أجاب -ممن ينتسب الى الإسلام- على أي سؤل من هذه السؤلات بأن لا، فقد فرغنا منه وعرفنا مصيره.
- وقد أيقن كل مسلم من عالم أو جاهل أو مثقف أو أمي أن من يقول بشيء من هذا لا، فقد خرج من الإسلام وتردى في حمأة الردة.
- أما من عدا المسلمين ومن عدا المنتسبين الى الإسلام فلن نجادلهم في هذا ولن نسايرهم في الحديث إذ لم يؤمنوا بمثل ما أمنا به ولن يرضوا عنا أبدا إلا أن نقول مثل قولهم وعياذا بالله من ذلك).

ولا يجتمع إيمان بالله وتحاكم إلى غيره يقول عز وجل:-

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ النساء:٦٠.

يقول الشيخ الشنقيطي عند كلامه عن شرك الطاعة:

* وقد بين النبي ﷺ هذا لعدي بن حاتم ﷺ عندما سئله عن قوله تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله..﴾ الآية. فبين له أنهم أحلوا لهم ما حرم الله، وحرموا عليهم ما أحل الله، فأتبعوهم في ذلك، و أن ذلك هو اتخاذهم إياهم أربابا.

* ومن أصرح الأدلة على هذا أن الله عزوجل في سورة النساء بين أن من يريدون التحاكم الى غير الله، يتعجب من زعمهم أنهم مؤمنون.

* وما ذلك إلا أن دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم الى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب وذلك في قوله تعالى:- ﴿ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يردون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به و يريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾ النساء:٦٠.

ويقول في موضوع أخر بعد ذكره الآية السالفة:

* وأشار أنه لا يؤمن أحد حتى يكفر بالطاغوت، بقوله فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ومفهوم الشرط أن من لم يكفر بالطاغوت لم يستمسك بالعروة الوثقى فهو بمعزل عن الإيمان لأن الإيمان بالله هو العروة الوثقى.

* والإيمان بالطاغوت يستحيل إجتماعه مع الإيمان بالله اذ هو ركن منه كما هو مدلول قوله فمن يكفر بالطاغوت.

الطاغوت وتعريفه وحكم الإسلام فيه:

١: تعريف الطاغوت:

ولابد أن يعرف الإنسان ما هو الطاغوت حتى يكفر به ويصير مؤمنا يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب:-

● واعلم أن الإنسان لا يصير مؤمنا بالله إلا بالكفر بالطاغوت و الدليل قوله تعالى:- فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة وثقى لا انفصام لها و الله سميع عليم.

ويقول عن صفة الطاغوت:

● والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله و رضي بالعبادة فهو طاغوت، من معبود أو متبوع أو مطاع في غير طاعة الله و رسوله فهو طاغوت و رؤوسهم خمسة:-

الأول: الشيطان الداعي إلى عبادة غير الله والدليل قوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾.

الثاني: الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، والدليل قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾.

الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله و الدليل قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

الرابع: الذي يدعي علم الغيب من دون الله والدليل قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾.

وقال تعالى: ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو و يعلم ما في البر والبحر، و لا تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

الخامس: الذي يُعبد من دون الله و هو راض بالعبادة، والدليل قوله تعالى:- ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾.

يقول ابن القيم:

* ثم أخبر سبحانه. أنه من تحاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه: (**والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع**).

فطاغوت كل قوم:

أ- من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله.

ب- أو يتبعونه على غير بصيرة من الله.

ج- أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله.

ويعلق الشيخ محمد حامد الفقي على المقصود بالطاغوت فيقول:

* الذي يستخلص من كلام السلف ﷺ أن الطاغوت كل من صرف العبد وصده عن عبادة الله وإخلاص الدين والطاعة له ولرسوله. سواء في ذلك الشيطان من الجن والشيطان من الإنس والأشجار و الأحجار وغيرها.

* ويدخل في ذلك بلا شك الحكم بالقوانين الأجنبية وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم في الدماء والفروج والأموال وليبطل بها شرائع الله من إقامة الحدود، وتحريم الربا والزنا والخمر وغير ذلك مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها وأمثالها في كتاب وضعه العقل البشرى ليصرف به عن الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ إما عن قصد أو غير قصد من واضعه فهو طاغوت.

حكم الإسلام في الطاغوت وموقف المؤمنين منه

* من دعا الى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه وجعل لله شريكاً في الطاعة وخالف ما جاء به الرسول ﷺ فيما أمره الله به في قوله تعالى:- ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾.

وقوله تعالى:- ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾.

● فمن خالف ما أمر به الله ورسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله وطلب ذلك إتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه، وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك وكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ذلك في قوله تعالى ﴿يزعمون﴾ ونفى إيمانهم فإن ﴿يزعمون﴾ إنما يقال غالباً لمن إدعى دعوة هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها ويحقق قوله ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة فإن لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً.

● والتوحيد هوالأيمان الذي تصلح به جميع الأعمال و تفسد بعدمه، كما أن ذلك في قوله تعالى: ﴿فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ الآية، وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به.

● أما عن صفة الكفر بالطاغوت فيقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب:-

(وأما صفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله و تتركها و تكفر أهلها و تعاديهم).

● مكانة سلطة الله التشريعية في الإسلام أنها ركن من أركان التوحيد، لا يتحقق التوحيد إلا بتحققه، و يتحقق بالكفر بالطاغوت. والطاغوت ليس صورة واحدة، بل يتعدد و يتشكل في صور عدة فلا بد من الكفر به في أي صورة كان وهو في هذا الزمان جل تشخيصه في القوانين الوضعية و واضعيها و مروجيها.

● فكان لكي يتحقق التوحيد شخص ما:

أن يعتقد بطلان هذا الطاغوت الجديد.

ويتركه ويكفر أهله ويتبرأ منه ومن أهله ويعاديهم.

● هذا ولا يغرنك قولهم أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، أو المصدر الأساسي.

فإنها عبارة شركية لتضمنها:

وجود مصادر أخرى للتشريع غير الشريعة الإسلامية حتى و لو كانت فرعية لأن هذا تحاكم الى غير كتاب الله و سنة رسوله إبتداء فالله تعالى يقول مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ المائدة:٤٩.

ولتضمنها الرضى بمصدر غير الإسلام للتشريع وهذا وحده كفر لأن الرضى بالكفر كفر.

* وقد يقول القائل: إن الإسلام لا يمنع اللجوء لمصادر أجنبية في الأعمال المدنية التى ليس فيها تفصيل إسلام ما لم يتعارض مع مبادئ الأسلام الكلية

* و يقال له إن هذا لو لم يبحه الإسلام لما كان مباحاً فالإسلام هو المصدر الوحيد للتشريع، وهو من هذا البا يوافق أو لا يوافق على مدى جواز اللجوء الى مصادر أخرى تعمل من منطلقه.

* فالإسلام أعلى علواً و أسمى سمواً من أن يحدد أحد مكانته الرئيسية أو الأساسية أو غير ذلك فهو الذي يض مكانة المصادر و السلطات و الأفراد.

* فتوحيد الله عزوجل لابد أن يتضمن الإعتقاد بتوحيده كسلطة عليا وحيدة للتشريع و ذلك حتى يتحقق الك بالطاغوت، أي: ركني التوحيد: – الإيمان بالله – والكفر باطاغوت.

حكم من تحاكم الى غير كتاب الله

ونصوص العلماء في ذلك كثيرة، وسنذكر إن شاء الله ما فيه كفاية لهذا الأمر:-

الشيخ أحمد شاكر يقول:-

- ترى في بعض بلاد المسلمين قوانين ضربت عليها نقلت عن أوروبة الوثنية الملحدة وهي قوانين تخالف الإسلام مخالفة جوهرية في كثير من أصولها وفروعها،
- بل إن في بعضها ما ينقض الإسلام ويهدمه وذلك أمر واضح بديهي لايخالف فيه إلا مغالط لنفسه، يجهل دينه أو يعاديه من حيث لا يشعر وهي في كثير من أحكامها أيضا توافق التشريع الإسلامي أو لا تنافيه على الأقل، وقد وضع الأمام الشافعي قاعدة جلية دقيقة في نحو هذا، ولكنه لم يضعها في الذين يشرعون القوانين من مصادر غير الإسلامية فقد كانت بلاد الإسلام بريئة من هذا العار، ولكنه وضعها في المجتهدين من العلماء المسلمين الذين يستنبطون الأحكام قبل أن يتثبتو مما ورد في الكتاب والسنة الصحيحة ويقيسون ويجتهدون برأيهم على غير أساس صحيح. فقال في كتاب الرسالة:

ومن تكلف ما جهل وما لم تثبته معرفته وكانت موافقته للصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة والله أعلم، وكان بخطئه غير محذور، إذا ما نطق في ما لا يحيط علمه، ما الفرق بين الخطأ والصواب فيه.

ومعنى هذا واضح أن المجتهد في الفقه الأسلامي، على قواعد الإسلام، لا يكون معذورا إذا ما كان إجتهاده على غير أساس من معرفة وعن غير تثبيت في البحث عن الأدلة من الكتاب والسنة حتى ولو أصاب في الحكم، اذ تكون إصابته مصادفة لم تبن على الدليل، ولم تبن على اليقين، ولم تبن على إجتهاد صحيح.

- أما الذي يجتهد ويشرع على قواعد خارجه عن قواعد الإسلام فإنه لا يكون مجتهدا ولا يكون مسلما، إذا قصد إلى وضع ما يراه من الأحكام، -وافقت الإسلام أم خالفته- فكانت موافقته للصواب من حيث لا يعرفه من حيث لا قصده، غير محمودة بل كانوا لا يقلون كفرا عمن يخالفون..

الشيخ محمد أمين الشنقيطي :-

* يقول بعد ذكر الآية ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ ويفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا يجوز التحاكم الى غير كتاب الله وسنة نبيهﷺ وقد أوضح تعالى مبينا هذا المفهوم موبخا المتحاكمين الى غير كتاب الله وسنة نبيهﷺ مبينا أن الشيطان أضلهم ضلالا بعيدا عن الحق بقوله: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما إنزل إليك وماإنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا﴾.

* ويقول:– ويفهم من هذه الآيات كقوله تعالى: ولا يشرك في حكمه أحد أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله. وهذا المفهوم جاء مبينا في آيات أُخر كقوله فيمن إتبع تشريع الشيطان في إباحة الميتة بدعوى انه ذبيحة الله: ﴿ولا تأكلوا ما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ فصرح أنهم مشركون بطاعتهم.

* وهذا الإشراك بالطاعة وإتباع التشريع المخالف لما شرعه الله تعالى هو المراد بعبادة الشيطان في قوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لاتعبدواالشيطان إنه لكم عدوا مبين، وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم﴾. وقوله تعالى على لسان إبراهيم:– ﴿ياأبت لاتعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمان عصيا﴾. وقال تعالى:– ﴿إن يدعون إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا﴾ أي ما يعبدون إلا شيطانا، وذلك بإتباع تشريعه، ولذلك سمى الله الذين يطاعون فيما زينوا من المعاصي شركاء في قوله تعالى: ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم﴾ الآية.

* ثم يقول بعد ذكره آية ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما إنزل اليك ...﴾. وبهذه النصوص السماوية التى ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعيةالتي شرعها الشيطان

..ى لسان أوليائه مخالفة لما شرعه الله على ألسنة رسله، أنه لايشك في كفرهم وشركهم، إلا من طمس الله بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم)

إلى الذين يزعمون

تنبيه :- الآيات من قوله تعالى ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل ... الى قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون......﴾ النساء، نزلت فيمن وجد مجالا للتحاكم الى الشريعة ثم عدل عنها بأختياره بدليل أنه ورد في ..انها ﴿وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ وهذا لا ينطبق على المسلمين في البلاد التي تعلوها الاحكام الوضعية الكفرية، إذ لاخيار امامهم..

امام ابن تيمية :-

- معلوم بالأضطرار من دين المسلمين وبأتفاق جميع المسلمين أن من سوغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمدﷺ فهو كافر.

ابن كثير :-

- وقوله ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن حتى يحكم الرسولﷺ في جميع الأمور فما حكم به فهوالحق الذي يجب الإنقياد له باطنا وظاهرا ..
- ويقول: ﴿وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله..﴾ فما حكم به كتاب الله وسنة رسوله وهو الحق، وماذا بعد الحق إلا الضلال ولهذا قال الله تعالى: ﴿إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر﴾ أي ردوا الخصومات والجهالات الى كتاب الله وسنة رسوله فتحاكموا اليهما فيما شجر بينكم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الأخر.
- فدل على أن من لم يتحاكم الى الكتاب والسنة ولم يرجع اليهما فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الأخر.

* ويقول أيضا:- فمن ترك التشريع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء، وتحاكم الى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم الى الياسا وهو -الياسق- وقدمه، لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين.

__تنبيه__ :- هناك من فرق بين تحكيم النظام الشرعي وتحكيم النظام الأدارى مما لم يتعرض له الإسلام.

محمد نعيم ياسين:

* يقول: اذا قام حاكم ينتحل الحق في إصدار تشريعات مناقضة لما هو ثابت بالكتاب والسنة، يحلل ما حرم الله أو يحرم ما أحل الله سبحانه وتعالى كفر وارتداد عن دين الله القويم، لأنه يعتقد أنه يسعه الخروج عن شريعة الإسلام بما يُشرع للناس ومن اعتقد ذلك كان من الكافرين....

* ولكن هذا الحكم لا يدخل فيه التشريعات التي لم تتناولها نصوص الشرع، أو لم تتعرض لها ، ولا الأحكام الأجتهادية التي اختلف العلماء فيها..

- فمن سن قانونا يبيح الزنا والربا أو أي شيء من المعاصي المتفق على حرمتها في شرع الله فقد كفر. ويكفر من يسهم برضاه في إصدار مثل هذا القانون.

- ولكن لا يكفر من سن قانونا ينظم فيه السير مثلا أو نحوه مما لم يتعرض له الشرع بالذكر، ولا يكفر من سن قانونا ينظم فيه الأسعار ولا يقال إن التسعيرة حرام لأن بعض العلماء لايجيزه، وذلك لأنه أمر إجتهادى وقد قال بعض العلماء..

الشيخ الشنقيطي:-

* يقول: إعلم أنه يجب الفصل بين النظام الوضعي الذي يقتضى تحكيمه الكفر بخالق السماوات والأرض، وبين النظام الذي لايقتضي ذلك.. وإيضاح ذلك أن النظام قسمان:-

١- إداري.

٢- شرعي.

أما الأداري الذي يُراد به ظبط الأمور وإتقانها فقد عمل فيه الصحابة فمن بعدهم، وقد عمل عمر بن الخطاب (...)، من ذلك أشياء كثيرة.

أما النظام الشرعي المخالف لتشريع خالق السماوات والأرض كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف...وأنهما يلزم استوائهما في الميراث، كدعوى أن تعدد الزوجات ظلم، وأن الطلاق ظلم للمرأة، وأن الرجم والقطع وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك...

فتحكيم هذا النظام في أنفس المجتمع وأمواله وأعراضهم وأنسابهم وعقولهم وأديانهم كفر بخالق السماوات والأرض وتمرد على نظام السماء الذي وضعه من خلق الخلائق كلها وهو أعلم بمصالحها سبحانه وتعالى عن أن يكون معه مشرع أخر علوا كبيرا...

حكم من حكم بغير ما أنزل الله

• إن أول ما يطالعنا في هذا الموضوع هو حكم الله حيث يقول:- ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ و﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ و﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ المائدة ٤٤-٤٥-٤٧.

• ولكن الشيطان سول لنفوس من العباد حتى جعل بعضهم يفهم الآية كأنها أنزلت ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون... وعندما يأتي الشيطان من هذا الباب فإنه لا يأتي سافر الوجه، بل يقدم لهم أقوال الصحابة والتابعين وأئمة المفسرين مزينا لهم بذلك زيغهم عن الحق هذا.

• وقد أثيرت حول هذا الموضوع عدة نقاط كان أهمها:-

١ - نزول الآية في اليهود أو غيرهم.

٢- ثم صرف الآية و تأويلها بأن الكفر ليس مخرجا من الملة بل كفر دون كفر وغير ذلك من الشبهات التي سنعرض لها في حينها إن شاء الله.

وأول ما ندرس هو فيمن نزلت هذه الآية:- ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ أو بأسلوب أدق على من تقع هذه الآية:-

أولا:- رأى فريق من العلماء أن هذه الآية نزلت في اليهود وبعضهم قال في الكفار عموما:-

• جاء في أضواء البيان: قال بعض العلماء: والقرآن الكريم يدل على أنها في اليهود لأن الله تعالى ذكر فيما قبلها أنهم يحرفون الكلم عن مواقعه وأنهم يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه يعني: الحكم المحرف الذي هو غير حكم الله فخذوه (وان لم تؤتوه) -أي المحرف- بل اوتيتم حكم الله الحق، فاحذروا..

• فهم يأمرون بالحذر من حكم الله الذي يعلمون أنه الحق وقد قال الله تعالى بعدها: وكتبنا فيها أن النفس بالنفس فدل على أن الكلام فيهم.

• وممن قال بأن الآية في أهل الكتاب كما دل عليه ماذكر - البراء بن عازب وحذيفة بن يمان وابن عباس وأبومجلز وأبو رجاء العطاردى وعكرمة وعبيدالله بن عبدالله والحسن البصرى وغيرهم- أضواء البيان٢ص٢١.

وقال الشيخ صديق حسن خان:

* وقيل أنها مختصة بأهل الكتاب و قيل بالكفار مطلقاً لأن المسلم لا يكفر بارتكاب الكبيرة، وبه قال ابن عباس وقتادة وضحاك وقيل في خصوص بني قريظة والنضير وعن براء بن عازب قال أنزلت هذه الآية في الكفار–أخرجه مسلم–.

ثانيا:– ومنهم من رأى أنها نازلة في اليهود ولم يمنع عملها في المسلمين.

قال ابن كثير:– (قال الحسن: "ان هذه الآية نازلة في أهل الكتاب، وهي علينا واجبة").

* وقال عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن منصور عن ابراهيم قال: (نزلت هذ الآية في بني اسرائيل ورضى الله لهذه الأمة بها) تفسير ابن كثير.

وقال الشيخ صديق حسن خان:-

* وعن حذيفة بسند صحيح ان هذه الأيات ذكرت عنده – **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والفاسقون و الظالمون**... فقال رجل ان هذه في بنى اسرائيل، فقال حذيفة نعم الاخوة لكم بنى اسرائيل ان كان لكم كل حلوه ولهم كل مره كلا والله لتسلكن طريقهم قد الشراك وعن ابن عباس نحوه...

وقال الشيخ جمال الدين القاسمى في تفسيره:-

* (وقال اسماعيل القاضى في أحكام القرآن: ظاهر الأيات يدل على أنه من فعل مثل ما فعلوه –يعنى يهود واخترع حكما يخالف به حكم لله وجعله ديناً يعمل به فقد لزمه ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكما كان أو غيره) تفسير محاسن التأويل ص٢٠ط عيسى الحلبى.

ثالثا:– ومن العلماء من راى ان (الكافرون) للمسلمين ....و(الظالمون)لليهود والفاسقون للنصارى.

قال القرطبي:

* (وقيل الكافرون)للمسلمين و(الظالمون)لليهود و(الفاسقون)للنصارى، وهذا اختيار ابي بكر بن العربي، قال لا ظاهر من الايات ،وهو اختيار ابن عباس وجابر بن زيد وابن ابي زائده وابن شبرمة، والشعبي ايضا).تفسير القرطبي ص ٢١٨٧.

وقال الشيخ الشنقيطي:

﴿فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا﴾ ثم قال: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون﴾ فالخطاب للمسلمين كما هو متبادر من سياق الايات. اضواء البيان ج٢ ص٩٢.

رابعا:- وذكر بعض العلماء ان الاية عامة في كل من لم يحكم بما انزل الله مسلمين او يهود او كفار

قال الشيخ صديق حسن خان:

- ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله﴾ لفظ ﴿من﴾ من صيغ العموم فيفيدان هذا غير مختص بطائفة معينة بل لكل من ولى الحكم وهوالاولى وبه قال السدي.
- ثم يقول: (وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الايات الثلاث عامة في اليهود وفي هذه الامة .فكل من ارتشى وحكم بغير ما انزل الله فقد كفر وظلم وفسق، هو الاولى لان الاعتبار بعموم الالفاظ لا بخصوص السبب) فتح البيان ج٢ص٢٩.
- ويقول في موضع اخر: (هذه الاية نزلت في اليهود وليست مختصة بهم لان الاعتبار بعموم الالفاظ لا بخصوص السبب) وكلمة ﴿من﴾ وقعت في معرض الشرط فتكون للعموم، فهذه الاية الكريمة متناولة لكل من لم يحكم بما انزل الله، وهو الكتاب والسنة ج٣ص٣٠.

وقال القرطبي:

- (قيل في اضمار اي ومن لم يحكم بما انزل الله ردا للقران وجحدا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو كافر وقال المجاهد فالاية عامة على هذا،وقال ابن مسعود والحسن هي عامة في كل من لم يحكم بما انزل الله من المسلمين واليهود والنصارى) تفسير القرطبي ص٢١٨٧.

وقال العلامة القاسمي تحت عنوان (تنبيهات):

- الرابع ما اخرجه مسلم عن البراء ان قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله﴾ الأيات الثلاث في الكفار كلها وكذا اخرجه ابو داود عن ابن عباس، انها في اليهود خاصة قريظة والنظير، لا ينافي تناولها لغيرهم لان الإعتبار بعموم الالفاظ لا بخصوص السبب وكلمة ﴿من﴾ وقعت في معرض الشرط فتكون للعموم.

* وقال ايضا: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله﴾ اي كائنا من كان دون المخاطبية خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا. تفسير محاسن التاويل ص١٩٩٨.

خامسا:-ان الخلاف بين العلماء فيمن وقعت خلاف نظري لانه لا خلاف بينهم ان الاية ولو كانت نازلة في الكفار عامة او اليهود خاصة :-

* على رأي من قال ذلك - فانها عاملة في المسلمين وهذا يتفق مع المفهوم الاسلامي العام .

* فمن قال ان الاية عاملة في اليهود وليست عاملة في المسلمين كانه يتهم رسول الله (صلى الله علية وسلم) بانه يقول ولا يفعل فهو يقول لليهود اذا لم تحكموا بما انزل الله فانتم الكافرون اما انا فلا اكون كافرا اذا لم احكم بما انزل الله. أليس معنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم تنطبق في حقه الاية ﴿أتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾ حاشاه صلى الله عليه وسلم .

* اللهم الا ان يقال ايضا، ان هذه الايات نزلت في اهل الكتاب فيجوز للمسلم ان يامر الناس بالبر وينسى نفسه، او يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم اقل شأنا من شعيب عليه السلام حين يقول لقومه ﴿وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه﴾ الا ان يقول ان هذا غير ملزم للرسول صلى الله عليه وسلم فهو يجوز ان يخالف لما ينهى عنه -وحاشاه صلى الله عليه وسلم -.

* ونسي من يدعى أن الاية غير عاملة الا في اليهود ونسي أن قضايا العقيدة واحدة عند الانبياء ولكن التشريع مختلف يقول الله تعالى: ﴿فبهداهم اقتده﴾ ويقول: ﴿ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ وطاعة الله من العقيدة، ولم يؤمر بها اليهود وحدهم وإنما المسلمون مأمورون بذلك أيضا.

* وان كان اليهود كافرين اذا لم يعملوا بما أنزل الله، فإن المسلمين يكونون أشد كفرا اذا فعلوا نفس الفعلة، فإنه إذا قلنا أنه لا يليق بطلاب المدارس يسيروا حفاة الاقدام فهو من باب أولى لا يليق بطلاب الجامعة، وذلك دون حاجة النص عليه.

* فحين يقول الله تعالى لليهود: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ فبطريق اليهود ينطبق ذلك على المسلمين لأنهم أرقى من اليهود والذي نرجع اليه هو النص القرآن بفهم العلماء ونص القرآن يقول: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾.

وخلاصة فهم العلماء للاية كما يلي:-

- منهم بعض العلماء أن الآية نزلت فى المسلمين أو فيهم ضمن العموم، ومنهم ابن عباس كما ذكر ابن العربي وجابر ابن زيد وابن مسعود والحسن كما عند القرطبى، وابن قيم ، وابن أبي زائدة والسدى وابن شبرمة والشعبى وأبو بكر ابن العربى والشنقيطي وصديقه حسن خان والقاسمى وغيره.
- من ذكر من العلماء أن الآية نزلت في اليهود وأجراها في المسلمين ومنهم: ابن عباس وابن مسعود وحذيفة والحسن البصرى والنخعي وابراهم وأبو سفياني الثورى واسماعيل القاضي.
- إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وكلمة ﴿مَن﴾ من صيغ العموم لأنها جاءت في معرض الشرط. اذا ...... أن الآية عاملة فى المسلمين سواء كانت نازلة فيهم أو غيرهم.

أقسام الحكام

• الناظر في كلام العلماء يستخلص أن الحاكم ينقسم بحسب حاله الى أربعة أقسام رئيسية:-

١ - حاكم يحكم بشريعة الله عزوجل ينفذ كل أحكامها ولا يخرج عن شئ منها.

٢- حاكم يحكم بشريعة الله عزوجل ولكنه لايحكم بما أنزل الله في بعض القضاياعن إجتهادخطأ.

٣- حاكم يحكم بشريعة الله عزوجل ولكنه لايحكم بما أنزل الله في بعض القضاياعن زيغ وهوى شخصي.

٤ حاكم يحكم بغير شرع الله وهو ينقسم الى:-

أ: حاكم يدعى أن هذا الشرع المخالف لشرع الله هو من عند الله.

ب: حاكم يعترف ان هذا الشرع المخالف لشرع الله من عند نفسه أو غيره ومن جمع ووضع البشر حكم

كل حاكم من هؤلاء عند العلماء كما يلى:-

١ فأما الاول فلا خلاف أنه مسلم عند جميع فرق وطوائف وعلماء المسلمين.

١ والثاني الذي لايحكم بما أنزل الله في قضية معينة عن إجتهاد خطأ فهو مسلم مأجور أجرا واحدا بشرط أن يكون خطؤه في الفروع لا في الاصول وأن يكون في حكم غير معلوم من الدين بالضرورة وأن يكون قد استفرغ جهده في الوصول للحكم ولا خلاف عند أهل السنة أيضا.

١ والحاكم الثالث هو الذى وقع فيه معظم كلام السلف رحمهم الله وهذا الحاكم كفره غير مخرج من الملة على مذهب أهل السنة، فهو عاص لارتكابه ذنبا عن هوى شخصى في هذه القضية المفردة المعينة.

فمن يدقق في كلام السلف، يجد أنهم يتحدثون عن قضية مفردة، تقع فيها معصية وهى الحكم بغير ما أنزل الله.

وجميع كلام السلف لدفع الكفر المخرج من الملة إنما هو لدفعه عن هذا الصنف من الحكام.

مع ملاحظة أن هذا الحاكم لا يحكم بما أنزل الله لا عن تبديل لحكم الله،

فإنه لم يحدث في تأريخ الاسلام أن سنة حاكم حكما وجعله شريعة ملزم القضاء بها، بل عن هوى شخصى يدفعه الى إدعاء عدم وقوع الحكم على الواقعة.

فهو مثلا عندما يحكم في سارق يعرف انه سرق -ونحن نفترض انه في هذه القضية العينية عن هوى -لا يقول انه يحكم عليه بالجلد مثلا لان عقوبة السرقة هي الجلد بل يقول ان المدعىٰ عليه لم يسرق بل احتال على صاحب العين المسروقة وحكمنا عليه بالجلد تعزيرا له لتعزيره بالمدعي ...

- مع ان هذا الحاكم لم يات بتشريع جديد للحكم في القضية، الا ان له شروطا حتى يحتفظ بعدم خروجه عن الملة، واليك كلام العلماء في هذا الحكم :

القرطبي يقول:

* ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فالئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون﴾ نزلت كلها في الكفار، ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث البراء وقد تقدم – وعلى هذا المعظم ، فاما المسلم فلا يكفر وان ارتكب كبيرة، قال طاووس وغيره (ليس بكفر ينقل عن الملة ولكن كفر دون كفر)القرطبي .

* وكذلك عند ابن جريج وعن عطاء انه قال :كفر دون كفر وظلم دون ظلم وفسق دون فسق، وعن ابن عباس في قوله ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فالئك هم الكافرون﴾ قال: (ليس بالكفر الذي تذهبون اليه) ابن كثير

* ويقول القرطبي: (وان حكم به ..اي غير حكم لله – هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على اصل اهل السنة في الغفران للمذنبين –تفسير القرطبي).

الشيخ شنقيطي:

* يقول: (ومن لم يحكم بما انزل لله معتقدا انه مرتكب حراما فاعل قبيحا فكفره وظلمه غير مخرج عن الملة، وقد عرفت ان ظاهر الايات غلى ان الاولى في المسلمين والثانية في اليهود والثالثة في النصارى والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب – اضواء البيان).

* يقول في موضع اخر: (ومن كان امتناعه عن الحكم لهوى، وهو يعتقد قبح فعله، فكفره وظلمه غير مخرج عن الملة الا اذا كان مما امتنع عن الحكم به وشرطا في صحة ايمانه كالامتناع عن اعتقاد ما لا بد اعتقاده، هذا هو ظاهر الايات المذكورة كما قدمنا والعلم عند لله تعالى) اضواء البيان .

أبن أبي العز:

* وان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل لله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهو عاص، ويسمى كافرا كفرا مجازيا، أو كفرا أصغر (شرح العقيدة الطحاوية).

ابن القيم:

- ((وإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة و عدل عنه فهذا كفرا أصغر- مدارج السالكين).

الشيخ مصطفى صبري: يقول (بالدولة العثمانية)

- يقول: (وقد كانت الحكومات الاسلامية منذ عهد الصحابة (رضي الله عنهم) الى عهد قريب مما نحن فيه من الحكومات النحسات يحكمن على الامة ويحكم عليهن الاسلام من فوقهن، فان فعلن من خلال هذه الخطة المرسومة ما خالف حكما من احكام الدين، فانما ذلك يعد ذنبا على الحكومة الفاعلة، كما يقترف احد المسلمين اثما متبعا هوى نفسه خائف القلب مخافة الله ومخافة الناس).
- أما مجاهرة الخروج على رقابة الاسلام، ومحاولة الفصل الدين وعزله عن السياسة أى عزله عن الحكم والحكومة. وجعل هذه المسألة موضع البحث في شكل مشروع جديد ومذهب إجتماعى جديد ومحاولة تقليد الحكومات الاجنبية البعيدة عن الاسلام في ذلك، فلم تكن تطرق ببال أى حكومة من حكومات المسلمين مهما كانت فاسقة مستهترة في أعمالها) موقف العقل والعلم والعالم.

الشيخ محمود شاكر:

- ويوضح الشيخ محمود شاكر الفرق بين حكام اليوم وبين هذا الصنف من الحكام في تعليقه على الاثرين التاليين الواردين في تفسير الطبري:

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن جرير قال أتى أبا مجلز ناس من بني عمرو بن سدوس فقالوا: يا أبامجلز ارايت قوله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ أحق هو.... قال نعم. قالوا: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ أحق هو... قال نعم. فقالوا: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ أهو حق ... قال نعم، قالوا يا أبا مجلز أفيحكم هؤلاء بما أنزل الله.. قال هو دينهم الذي يدينون به، وبه يقولون وإليه يدعون، فإن هم تركوا شيئا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا، فقالوا لا والله ولكنك تفرق. قال أنتم أولى بهذا مني، ولا أرى وأنكم انتم ترون هذا ولا تخرجون، ولكنها نزلت في اليهود والنصارى وأهل الشرك أو نحو هذا.

حدثني المثنى قال حدثنا حجاج حماد عن عمران بن جرير قال: قعد الى أبى مجلز نفر من الإباضية قال فقالوا له يقول الله تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومن لم يحكم

بما انزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ قال أبو مجلز: إنهم يعملون بما يعلمون -يعني الامراء- ويعلمون أنه ذنب قال وإنما نزلت هذه الآي في اليهود والنصارى، قالوا والله انك لتعلم مثل ما نعلم ولكنك تخشاهم، قال أنتم أحق بذلك منا أما نحن فلا نعرف ما تعرفون قالوا ولكنكم تعرفونه ولكن يمنعكم أن تمضوا أمركم من خشيتهم).

* ويعقب الاستاذ محمود شاكرعلى الاثرين بقوله: (اللهم إني أبرا اليك من الضلالة، وبعد فإن أهل الريب والفتـ ممن تصدروا الكلام في زماننا هذا قد تلمس المعذرة لأهل السلطان في ترك الحكم بما أنزل الله).

- وفي القضاء في الاموال والاعراض والدماء بغير شريعة الله التى انزلها فى كتابه.

- وفي إتخاذهم قانون أهل الكفر شريعة في بلاد الاسلام.

* فلما وقف على هذين الخبرين إتخذها رأيا يرى الصواب القضاء في الاموال والاعراض والدماء بغير ما أنزل الله.

وان مخالفة شريعة الله في االقضاء العام لا تكفر الراضى بها والعامل عليها...

والناظر في هذين الخبرين لا محيص له عن معرفة السائل والمسؤول

* فأبوا مجلز (لاحق بن حميد الشيباني السدوسي) تابعي، وكان يحب عليا (ر.ض) وكان قوم أبي مجلز وهم مـ بني شيبان من شيعة على يوم الجمل وصفين، فلما كان أمر الحكمين يوم صفين، واعتزلت الخوارج، كان فيمـ خرج على علي (ر.ض) من بني شيبان ومن بني سدوس بن شيبان بن زهل، وهؤلاء الذين سئلوا أبا مجلز ناس مـ بنى عمرو بن سدوس، كما في الاثر الاول وهم نفر من الاباضية كما في الاثر الثاني.

- والاباضية هم جماعة من الخوارج ومن البين الذين سألوا أبا مجلز من الاباضية إنما كانوا يريدون أن يلزمو الحجة فى الامراء لأنهم في معسكر السلطان، ولأنهم ربما عصوا وارتكبوا بعض ما نهاهم الله عن ارتكابه ولذلك قا لهم في الخبر الاول - فإن تركوا شيئا منه عرفوا أنهم قد أصابوا ذنبا - وقال في الخبر الثاني - انهم يعملون به يعلمون أنه ذنب.

* إذن فلم يكن سؤلهم عما احتج به مبتدعة زماننا من القضاء في الاموال والدماء والاعراض بقانون مخالف لشريـ الله. ولا في إصدار قانون ملزم لاهل الاسلام بالأحكام الى حكم الله في كتابه وعلى لسان نبيه.

* فهذا الفعل اعراض عن حكم الله ورغبة عن دينه، وإيثار لأحكام أهل الكفر على حكمه سبحانه وتعالى، هذا كفر يشك فيه أحد من أهل القبلة على إختلافهم في تكفير القائل به والداعى اليه.

* والذي نحن فيه اليوم هو هجر لأحكام الله تعالى بلا إستثناء، وإيثار أحكام غير حكمه في كتابه وسنة نبيا وتعطيل لكل ما في شريعة الله.

- .ل بلغ الاحتجاج على تفضيل أحكام القانون الموضوع على أحكام الله المنزلة، وادعاء المحتجين لذلك بأن أحكام الشريعة إنما إنزلت لزمان غير زماننا ولعلل وأسباب انقضت فسقطت الاحكام كلها بانقضائها.
- وأين هذا مما بينا في حديث أبى مجلز والنفر الاباضية من بني عمرو بن سدوس ولو كان الامر على ما ظنوا في ... أبى مجلز، أنهم أرادوا مخالفة السلطان في حكم من أحكام الشريعة.
- وإنه لم يكن يحدث في تأريخ الاسلام أن سن حاكم حكما وجعله شريعة ملزمة للقضاء بها وهذه واحدة، والأخرى أن الحاكم الذي حكم في قضية بعينها بغير حكم الله فيها إنما يكون:

١) حكم بها وهو جاهل فهذا أمره أمر جاهل بالشريعة.

٢) وإما أن يكون حكم بها هوى ومعصية فهذا ذنب تناله التوبة. وتلحقه المغفرة.

٣) وأما أن يكون حكم متأولا حكما خالف به سائر العلماء فهذا حكمه حكم كل متأول يستمد تأويله من الإقرار ...ص الكتاب وسنن الرسول.

- وأما أن يكون في زمان أبي مجلز أو قبله أو بعده، حاكم حكم في أمر جاحدا بحكم من أحكام الشريعة أو مؤثرا لأهل الكفر على أحكام أهل الاسلام، فذلك لم يكن قط.
- ولا يمكن صرف كلام أبى مجلز والإباضية اليه فمن احتج بهذين الأثرين وغيرهما في غير بابها وصرفها الى غير ...اها رغبة في نصرةسلطان أو احتيالا على تسويغ الحكم بغير ما أنزل الله وفرض على عباده فحكمه في الشريعة ...الجاحد لحكم من أحكام الله، أن يستتاب، فإن أصر وكابر وجحد حكم الله ورضي بتبديل الاحكام، فحكم الكافر المصر على كفره معروف لأهل هذا البلد. انتهى كلام الشيخ محمود شاكر.
- وقبل أن نترك هذا الصنف الثالث، نود أن نخرج بخلاصة كلام العلماء في هذا الصنف وكلام العلماء يدل على أن الحاكم الذي لا يحكم بما أنزل الله يكون مسلما فاسقا أو كافرا كفرا غير مخرج عن الملة، مادام تتحقق فيه الشروط التالية، فإن تخلف فيه شرط منها أو جميعها لم يكن مسلما:

أن يكون عدم الحكم بما أنزل الله في (قضية معينة) أى ليس منهجا وسنة حياة.

أن يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في الواقعة التى لم يحكم فيها بما أنزل الله.

أن لايعتقد أنه مخير في الحكم أو عدم الحكم بما أنزل الله مع تيقنه أن الحكم حكم الله.

أن لا يستهين بالحكم مع تيقنه أنه حكم الله .

أن يعتقد وهو لا يحكم بما أنزل الله أنه مرتكب حراما فاعل قبيحا.

وأما إذا أتى بشرع جديد من وضعه أو وضع غيره، فإنه يكون مبدلا ومنحيا لحكم الله ولا يدخل تحت هذا القسم ل...كون القسم التالي.

٤) هو الحاكم بغير ما أنزل الله بسبب حكمه بشرع غير شرع الله وهو ينقسم الى:-

* من يدعى أن هذاالشرع المخالف لشرع الله هو شرع الله فهو كافر لتبديل الحكم.

يقول القرطبي: (وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل يوجب الكفر) تفسير القرطبي.

* من جمع ووضع الشرع المخالف لشرع الله قانونا لقومه ويعترف انه من نفسه أو من عند غيره، فهذا الحاكم هو قضيتنا اليوم وهو كافر خارج عن ملة المسلمين عند جميع فرق والطوائف وعلماء المسلمين...

أولا: لانه طلب الحكم من غير الكتاب والسنة، أي تحاكم الى غير الكتاب والسنة، ومن فعل ذلك كان كافرا لا خلاف في ذلك كما وضح.

ثانيا: أ- لأنه لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وهذا يجب التفطنة إليه وهو أنه ليس شرطا لهذا الحاكم أن يكون جاحدا لحكم الله، فهناك فرق بين جحود الحكم، واعتقاد أن الحكم غير واجب وكلاهما كفر..

ب- وقد يكون الشخص غير جاحد حكم الله بل يقره ولكنه لا يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وذلك بتسويغه الحكم بغير ما أنزل الله، أى أنه يجعل حكم الجاهلية جائزا بتنفيذه كتنفيذ حكم الله عزوجل فهذا الحاكم كافر حتى ولو كان حكمه موافقا لحكم الله..

ج- هذا مع ملاحظة أن جحود الحكم بما أنزل الله يكون كفرا في ذاته سواء إجتمع معه عدم الحكم بما أنزل الله أو لم يجتمع.

يقول ابن القيم:

* (ومنهم من تأول الآية على ترك الحكم بما أنزل الله جاحدا له، وهو قول عكرمة، وهو تأويل مرجوح، فإن نفس جحوده كفر سواء حكم أو لم يحكم..) -مدارج السالكين-.

ثالثا: لأنه وضع قانونا غير قانون الله، واعترف بهذا القانون للعمل به، وقد مر بنا كلام العلماء فيمن تحاكم الى غير الكتاب والسنة، فاليك نصوص العلماء فيمن:

- أعتقد عدم وجوب الحكم بما أنزل الله.
- أو وضع دستورا لقومه من عند نفسه.
- أو جوز ما وضعه غيره..

ابن القيم:-

- يقول: (ومن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير مع تيقنه أنه حكم لله فهذا كفر أكبر..) -مدارج السالكين-.

الشيخ محمد بن عبد الوهاب:-

- يقول الشيخ متحدثا عن نواقض الاسلام أنها عشرة: (الرابع: من اعتقد أن غير هدى النبي أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر..) مجموعة التوحيد..

العلامة القاسمي:-

- يقول: (أ:- ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ أي من لم يحكم بذلك مستهينا به ومنكرا له، كما فعلوه ما فعلوه إقتضاء بينا ﴿فأولئك هم الكافرون﴾ لأستهانتهم به، والجملة تزييل مقرر لمضمون ما قبلها أبلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به أشد تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما أنزل الله، فكيف وقد إنضم اليه الحكم بخلافه، لا سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريف، ووضع غيره، وادعاء أنه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) -محاسن التأويل-
- ويقول أيضا: (قال إسماعيل القاضي في أحكام القرآن: ظاهر الآيات يدل على أنه من فعل مثل ما فعلوا- يعني اليهود - واخترع حكما يخالف به حكم الله وجعله دينا يعمل به، فقد لزمه ما لزمهم من الوعيد المذكور حاكما كان أو غيره) -محاسن التفسر-.

ابن كثير:

- يقول في تفسير آية ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون﴾:

ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل الى ما سواه من الآراء والأهواء والأستطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بأرائهم وكما يحكم التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم (جنكيزخان) الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من آراء قد إقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الاسلامية وغيرها، وفيها كثير من الاحكام أخذها من مجرد نظره وهواه فصارت في بنية شرعا متبعا

يقدمون على الحكم بكتاب الله وسنة نبيه فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير.

الشيخ أحمد شاكر:

* ويقول معلقا على كلام السابق لإبن كثير: أقول:-

- أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوروبا الوثنية الملحدة..

- بل بتشريع تدخله الآراء والأهواء الباطلة يغيرونه ويبدلونه كما يشاؤون ولا يبالى واضعيه أوافق شرع الاسلام أم خالفه...

- إن المسلمون لم يبلوا بهذا قط فيما نعلم من تأريخهم إلا في عهد التتار وكان أسوأ عهود الظلام. ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له، بل غلب الاسلام التتار، ثم مزجهم فأدخلهم في شرعه، وزال أثر ما صنعوا بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم..

- وبما أن هذا الحكم السيء الجائر كان مصدره هذا الفريق أو ذاك لم يندمج أحد من أفراد الامم الاسلامية المحكوما ولم يتعلمه أبناؤهم فما أسرع ما زال أثره.

* أرأيتم هذا الوصف القوى من الحافظ إبن كثير في القرن الثامن، لذلك القانون الوضعي الذى يصنعه عدو الاسلام - جنكيزخان-

* ألستم ترونه يصف حال المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري إلا في فرق واحد أشرنا اليه أنفا... إن ذلك طبقة خاصة من الحكام أتى عليها الزمان سريعا فاندمجت في الأمة الإسلامية و زال أثر ما صنعت.

* ثم كان المسلمون الأن أسوأ حالا وأشد ظلما وظلالا منهم، لأن أكثر الأمم الأسلامية تكاد تندمج في هذه القوانين المخالفة للشريعة والتي هي أشبه شيء بذلك الياسق الذي أصطنعة رجل كافر ظاهر الكفر.

* هذه القوانين التي يصطنعها ناس ينتسبون للأسلام ثم يتعلمها أبناء المسلمين ويفخرون بذلك آباء وأبناء ثم يجعلون مجرد أمرهم الى هذا (الياسق العصري) ويحقرون من يخالفهم في ذلك ويسمون من يدعوهم للإستمساك بدينهم رجعيا وجامدا وما الى ذلك من ألفاظ الفارغة.

* بل أنهم أدخلوا أيدهم فيما بقي من الحكم والتشريع الإسلامي يريدون تحويله الى (ياسقهم) الحديث بالهوينا واللين تارة، وبالمكر والخديعة تارة، وبما ملكت أيدهم من السلطات تارة، ويصرحون ولا يستحون بأنهم يعملون على فصل الدين عن الدولة.

- أفيجوز إذن -مع هذا- لأحد من المسلمين أن يعتنق هذا الدين الجديد أعني التشريع الجديد..

أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا الدين وأعتقاده والعمل به عالما كان الأب أو جاهلا.

أو يجوز لرجل مسلم أن يلي القضاء في ظل هذا (الياسق العصري) وأن يعمل به وأن يعرض عن شريعته البينة.

• ما أظن رجلا مسلما يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلا ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتابا محكما، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبأن طاعة الرسول الذي جاء به واجبة قطعية الوجوب في كل حال ما أظنه يستطيع الا أن يجزم غير متردد ولا متأول بأن ولاية القضاء في هذه الحالة باطلة بطلانا أصليا لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة.

• الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس.. هي كفر بواح... لاخفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ممن ينتسب للأسلام -كائنا من كان- في العمل بها أو إقرارها فليحذر أمرؤ نفسه ولكل أمريء حسيب نفسه، (عمدة التفسير).

تنبيـــــه:

• الوصف الثاني والثالث لمن لم يحكم بما أنزل الله ﴿الظالمون﴾ ﴿الفاسقون﴾ لا يعني أنها حالتان أخريان غير الذي سبق فيها الوصف بالكفر وإنما يعني إضافة صفتين لمن لم يحكم بما أنزل الله، فهو كافر، ظالم وفاسق- وهذا ما يقتضيه أتحاد المسند اليه فعل الشرط ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ فجواب الشرط الثاني والثالث يضافان الى جواب الشرط الأول ويعودون كلهم الى المسند اليه في فعل الشرط و هو ﴿من﴾ من المطلق العام

• وقد وصف الشرك بأنه ظلم و في قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾أي بشرك . وفي قوله تعالى على لسان لقمان ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

• ومنا أيضا فسوق كفر كقوله تعالى ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ الآية. وقوله عز وجل ﴿ولقد أنزلنا

آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ وكقوله تعالى ﴿وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ الآية فهذه كله فسوق وكفر.

* فالظلم والفسق مثل الكفر منه ما يخرج عن الملة ومنه ما لا يخرج عن الملة وينطبق على الظلم والفسق ما ينطبق على الكفر في حالة الذي لا يحكم بما أنزل الله.

حكم حكام المسلمين الحاليين في ضوء نتائج السابقة

● جميع الأنظمة القائمة في العالم الاسلامي اليوم بلا إستثناء أنظمة دكتاتورية، وتنقسم الى نوعيين رئيسيين وإن تنوعت أشكالها ضمن أقسام النوع الواحد وهذين النوعين:

أولا:- نظام الأسر المالك الحاكمة بالوراثة: ويتوارث الحكم فيها بطريقة الوراثة العائلية، حيث يبقى الحكم محصورا في تلك العائلة.

ثانيا:- أنظمة الحكم الدكتاتورية الفردية:- وهذه وإن انقسمت الى نوعين رئيسيين،

أولها دكتاتورية عسكرية: تعتمد على سيطرة الجيش وسلطته العسكرية.

وثانيهما ديكتاتوريات مدنية: ترفع شعارات ديموقراطية تعتمد على بطش أجهزة الأمن وسيطرة حزب الحاكم.

إلا أنها كلها تعتمد سيطرة الفرد الطاغوت وإمساكه بكل السلطات مباشرة.

١) أنظمة العوائل المالكة:-

● وتتبع هذه الأنظمة نظام التوارث في تناقل السلطة وهو إسلوب قائم عل الإكراه لا شورى فيه ولا بيعة ولا خيار.

● وغالبا ما تقف هذه الأنظمة موقفا إلتوائيا من قضايا الاسلام والحكم، ويزين فيها الأمراء والملوك خطبهم بالآيات والأحاديث ويعلنون أنهم أنظمة إسلامية، ويشتركون في المؤتمرات الإسلامية العالمية كممثلين عن مسلمي بلادهم.

أخطر إنحراف وقع في التأريخ الإسلامي

● وحكم العائلة سواء كانت العائلة الأموية أو العباسية أو الحمدانية أو العثمانية أو أية عائلة حاكمة في عالمنا الإسلامي اليوم، هو أخطر إنحراف وقع في التأريخ الإسلامي.

● ذلك أنه يحيط العائلة المالكة بشيبها وشبابها وصبيانها وغلمانها ونسائها ومهرجيها ومن لايذكر لله بسياج من الهيبة، كالأمتياز المادي والمعنوي على حساب كل الآيات التي وردت في الكتاب الكريم حول القسط والعدل والمساواة بين الناس.

* وأن حكم عائلة قد رهن وما يزال يرهن أوضاع الأمة الإسلامية بعمومها ضمن إطار على صيغة طارئة تاريخياً في عمر الزمن والتاريخ.

* ويحدد طبيعة التطورات السياسية والأقتصادية والاجتماعية التي يجب أن تمر بها دون هدى من الشرع أو التجربة الأنسانية الحرة.

* وحكم كهذا يحول بالضرورة العائلة الحاكمة الى مؤسسة تآمرية، في التآمر على الأمة، كيف تبقى خاضعة، والتآمر ضمن العائلة الحاكمة فيمن يأتي للحكم بعد هلاك الحاكم.

* ان حكم العائلة سواء كانت العائلة الأموية أو العباسية أو الحمدانية أو العثمانية أو أية عائلة حاكمة اليوم في عالمنا الإسلامي –المسلوب الإرادة– هو مستنقع لكل الطموحات غير الشرعية التي يحفل بها تاريخه.

* وهو الذي أدى الى كل الإنهيارات السياسية والإقتصادية والإجتماعية التى تعاني منها الأمة الاسلامية في وقتنا الحاضر، التجزئة السياسية ، التبعية الإقتصادية، التخلف الإجتماعي، الخور والضعف والدنية والهوان في كل مؤسساتنا.

* إن طبيعة السلطة السياسية التى يدور محورها حول عائلة معينة وتحدد شخصيتها السياسية وفق مقتضيات مصلحة العائلة الحاكمة لا تستطيع قطعا الارتقاء لمنهج الإسلام في الحكم، وهو منهج أممي عالمي يخرج عن الدوائر المغلقة للعائلة والقبيلة والقوم والعشيرة... ويتجاوزها ويتخطاها لأنه منهج يقوم أساسا على تحرير الإنسان –لكونه إنسانا– من كل أشكال العسف الإجتماعي والإقتصادي والسياسي والتفاوت الطبقي المشين الذي يفرزه الحكم العائلي.

* وكل ذلك بلا شك يعد إنحرافا أساسيا عن منهج الاسلام في الحكم ومقررات الشريعة الإسلامية في العدل المطلق.

٢) الانظمة الدكتاتورية الفردية:–

* وسواء أكانت النماذج التي ترفع شعارات الديموقراطية المزيفة بأشكال وصيغ شتى والتي تعتمد على جهاز ضخم –من البوليس– بأشكاله وألوانه لتثبيت أركان النظام المتسلطة.

* أم كانت من أشكال الدكتاتوريات العسكرية القائمة في بلاد إسلامية أخرى.

* أو كان من الاشكال الفردية الأخرى من الدكتاتوريات المختلفة المتسترة بشعارات الإشتراكية والحرية والشعبية ... الى أخر قائمة الجهالات.

* فكل هذه الأنظمة تعمد الى القمع والقهر وأسلوب الأحكام العرفية والإرهاب البوليسي وتستند في غالبها الى سياسة الحزب الواحد الذي هو حزب فرعون السلطة.

- وربما سمحت هذه الأشكال بجو ما من الديمقراطية لذر الرماد في العيون...
- وتتميز هذه الدول بأتساع دائرة الفساد والرشاوى و المحسوبيات والأنقسام الطبقي الحاد في فئتين:

١ أولاهما ملتفة حول السلطة و حزبها الواحد و علمائها والمستفيدين منهـا مـن كبـار فعاليـات المـال و الإقتصـاد ومناحي الحياة... طبقة نفعية طفيلية فاسدة مفسدة.

١ وطبقة أخرى من باقى أفراد الشعب والكسب والعمال والموظفين يكاد غالبها لا يجد قوت يومه.

- وأهم ما يميز هذه الأنظمة سياسة الأرهاب والقمع والسحق والأذلال.
- هذه إجمالا أهم صفات كل نوع من هذين النوعين من الانظمة القائمة في العالم الأسلامي.
- أما على صعيد الحكم بالاسلام وإقامة أحكامه وإحلاله المكان الذي أولاه الله إياه في بلاد المسـلمين فتكـاد تتطـابق مواقف هذين الشكلين القائمين من الحكومات بعدا عن الاسـلام جملة و تفصيـلا ولا تختلف إلا في جزئية بسيطة هي:
- إن الأنظمة ذات الشكل الأول تدعي العمل بالاسلام وتعرض موقفها بمكر أكثر فهي تتمـيز بـالمكر و اللولبيـة إذا ما واجهت هذا الامر.
- في حين تتسم الأنظمة من النوع الأخر بالوقاحة وقلة الحياء في إعلانها فصل الدين عن الدولة و مباهاتهـا بذلـك و إعتباره عين التقدمية.
- وهذا الخلاف البسيط ليس بذي أهمية إذا عرفـنا حقيقة موقعها من الاسلام والعمل به.
- وسنتعرض لهذا الموضوع في المحاضرة القادمة إنشاء الله...

تشترك جملة هذه الأنظمة القائمة الآن التى أشرنا إليها في المحاضرة السابقة بالمميزات التالية:-

أولا: أستبعاد الحكم بما أنزل الله:

* استحداث أنظمة وضعية للحكم في الدماء والأموال والأعراض.
* وحصر الإسلام في دائرة ضيقة من أمور شخصية، وحتى هذه لم تسلم من العبث حيث نالها التحريف والتبديل في العديد من تلك الدول.
* وإذا تتبعنا الأنظمة السياسية القائمة في العالم الإسلامي فإننا لن نقع على دولة واحدة تقيم نظاما إسلاميا حقيقيا، حيث يلعب الإسلام وأحكامه السياسية والإقتصادية والإجتماعية والقضائية والإعلامية والعسكرية.... دوره كاملا على النحو الذي أنزله الله وفرضه.
* فكل هذه الدول استحدث لنفسها أنظمة وضعية تعددت الشعارات والكفر واحد..
* تتفاوت هذه الدول في أخذها من الإسلام بين استبعاده نهائيا في بعض الدول، وبين درجة أكبر من الأخذ به ..نوصا غير كامل بصورة شائهة حسب مقتضيات الحال.

ثانيا : خيانة الله ورسوله والمؤمنين:

•لقد خان حكامنا لله ورسوله والمؤمنين من أبناء الأمة؟ إذا تأملنا في حال هذه الأنظمة فسنجد نوعين كما ذكرنا في المحاضرة السابقة:

الصنف الأول: ويكون فيه إعطاء الأمارة والولاية والمنصب صغر أم كبر بناء على القرابة من العائلة الحاكمة أو الولاء لها من أبناء الحاشية والأتباع والموالين.

الصنف الثاني: وأما الصنف الثاني فيكون فيه اعطاء المناصب والقيادات والمديريات بناء على:-

إنتماء المرشح الى حزب السلطة الحاكم.

ودرجة نفاقه و دجله.

- واستعداده لتمرير المخططات التآمرية والظلم.

* وفي كلتا الحالتين ولد هذا مبدأ (الولاء قبل الكفاءة) مما أسفر عن وهن في جسد الدولة ووسد الأمر الى غير أهله....

يقول الدكتور عبدالله النفيسي في كتابه (في السياسة الشرعية) ٦١-٦٢:

* يعتبرالحاكم خائنا لله ولرسوله وللمؤمنين عندما ينحاز لأقربائه ومن والاه* ضد عموم المسلمين حين تحديد مسؤليات وتسليم الولايات.

* فالمفترض بالحاكم المسلم أن يستعمل أصلح المسلمين على كل عمل من أعمالهم، لأن استعمال الأصلح أكفأ يأتي بمنفعة ومصلحة الجماعة الإسلامية بينما إستعمال العكس يؤدي حتما الى ضرر كبير على الجماعة.

وهذا بعض أقوال الرسول ﷺ حول هذا الموضوع:

- **(من ولى من امر المسلمين شينا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان لله ورسوله)** رواه الحاكم في مستدركه وقال هذا حديث صحيح الإسناد.

- وفي رواية: **(من قلد رجلا عملا على عصابة "الجماعة من الناس" وهو يجد في تلك العصابة أرضى منه فقد خان لله ورسوله وخان المؤمنين).**

- وروى بعضهم أن عمر بن خطاب ﷺ قال: **(من ولى من امر المسلمين شينا فولى رجلا لمودة او قرابة فقد خان لله و رسوله والمؤمنين)** وفي معناه حديث ليزيد بن أبي سفيان في مستدرك الحاكم.

- فيجب إذن على الحاكم أن يستعمل فيه تحت يده في كل موضوع ومنصب أصلح من يقدر عليه وأقدر من يقوم به.

يقول إبن تيمية في السياسة الشرعية:

* فإن عدل عن الأصلح الأحق الى غيره لأجل:

- قرابة أو ولاء أو عتاقة أو صداقة.
- أو موافقة في بلد أو مذهب أو جنس كالعربية أو الفارسية أو التركية أو الرومية.
- أو الرشوة يأخذها من مال أو منفعة أو غير ذلك من الأسباب.

أو لضغن – حقد – في قلبه على الأحق أو عداوة بينهما.

* فقد خان الله ورسوله و المؤمنين ودخل فيما نهى عنه في قوله تعالى: ﴿يأيها الذين أمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخنوا أماناتكم ...﴾ الأنفال.

* ويضيف ابن تيمية: (فإن الرجل لحبه لولده أو لعتيقه قد يؤثره في بعض الولايات أو يعطيه ما لا يستحق فيكون قد خان أمانته، كذلك قد يؤثره بزيادة في ماله أو حفظه – يأخذ مالا يستحق أو محاباة من يداهنه في بعض الولايات فيكون قد خان الله ورسوله وخان أماناته)

يقول الدكتور النفيسى تحت عنوان "حكام اليوم خونة":

* واليوم كما نرى ونشاهد ونلمس، صار الحكام خونة لله ولرسوله وللمسلمين وضاعت الأمانة و وسد الأمر الى غير أهله وضاعت الحقوق وصار ولاة الأمر يتاجرون في الرعية مع أن الرسولﷺ قال: (**إن أخون الخيانة التجارة في الرعية**) وصارت المسؤلية والولاية توسد الى من هو خال من القوة والأمانة وهما الركنان الأساسيان في ولاية الأمر بمقتضى قول الله وقول رسولهﷺ (**ولا حول ولا قوة إلا بالله**).

ثالثا: موالاة أعداء الله والعمالة للصلبيين والشيوعيين واليهود:

* ليس في العالم الإسلامي اليوم دولة إلا وتدور في فلك أحد المعسكرين الكبيرين:

١: الغربي الصليبى ممثلا في أمريكا وأوربا الغربية.

٢:أو للشرقي الملحد ممثلا في روسيا والصين.

* حيث تدفع هذه الدول التوابع ضريبة التبعية والعمالة بشكل مباشر أو غير مباشر بنسبة تقل أو تكثر.

* وقد كان الخليق بالدول الإسلاميةأن تكون معسكرا لا شرقيا ولا غربيا، وإنما حنيفا مسلما، فطرة الله وصبغته.

* إلا أن السنوات النحسات حملت للعالم الإسلامي حكاما أذنابا أبو إلا أن يدخلوا هذا الفلك واتخذوا لهم ولإتوامهم من ورائهم أديانا شتى.

* و العالم الإسلامي اليوم دخل بعضه فلك العمالة لأمريكا وأتباعها، ودخل بعضه الأخر فلك العمالة لروسيا وأذيالها.

* و هذا التقسيم ليس حديا فكثيرا ما تتأرجح دولة ما في العمالة بين الشرق والغرب بشكل مائع مبطن حسب اللعبة الدولية.

* ورغم أن هذه العمالة تدخلهم في عمالة غير مباشرة للصهيونية واليهودية العالمية المسيطرة على قيادة المعسكرين، إلا أن بعضهم أبى إلا أن يدخل في عمالة مباشرة مع صهاينة فلسطين ممثلين بكيانهم (إسرائيل).

نتائج هذه العمالة والتبعية :-

* وقد أصبح معروفا لا يحتاج الى تبيان ما تعنيه هذه التبعية من:

- ضياع في الثروات.
- دمار للدين والأخلاق والمبادئ الإسلامية.
- هدر للشخصية والكرامة الإسلامية.
- خيانة لقضايا المسلمين الكبرى وفي طليعتها ما سلب من أراضيه كفلسطين وقدسها السليبة.

حكم الإسلام حول هذا النوع من الموالاة لأعداء الله:

* وقد تناسى أولئك الحكام وكيف يتذكرون أن هذه الأعمال هجر عن دين الله وارتداد عنه.

- قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾ المائدة:٥١- ٥٢.

- وقال تعالى: ﴿ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾ المائدة:٨٠.

- ولكن هيهات أن تعيها قلوب أصمها وطمس عليها بما كسبت.

رابعا: تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وملاحقة الدعاة إلى الله وكم أفواههم:-

- تكاد لا تخلوا دولة إسلامية من دعاة الى الله تصدوا لقضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستنكار هذه المظالم – وهذه القوانين الكافرة الظالمة...
- ويمكن القول بأنه ما من دولة من هذه الدول القائمة إلا و تصدت لهؤلاء الدعاة فنكلت بهم وكمت أفواههم و سجنتهم و شردتهم و قتلت من لا يخفى صوته إلا بالقتل.
- وهكذا قامت الحجة على هذه الدول و و فراعنتها الحكام، فقد جاءهم النذر فأمروهم ونهوهم وذكروهم الله و أحكامه، ودعوهم إليها ولكنهم استكبروا في الارض و لاحقوا الدعاة، بل إتهموهم بالعمالة و الخيانة وإرادة الفتنة و الفساد وقالوا قولة فرعون لقومه عندما جاءه موسى على نبينا وعليه السلام بالقول اللين الذي أمره به الله قالوا كما قال:- ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ غافر:٢٦.
- سبحان الله... أليست هي دعوى الطواغيت الفراعنة الآن و تهمتهم لكل داعية خير ومصلح مؤمن، وصدق الله العظيم ﴿تشابهت قلوبهم﴾ هي الذريعة نفسها ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾.

نخشى أن يفرقوا كلمة الأمة.

ويحطموا الوحدة الوطنية.

وينشروا الطائفية.– ويعيدوا دولاب التاريخ الى الوراء....

خلاصة القول

- إن حكام المسلمين القائمين في بلادنا اليوم عطلوا أحكام الله ورسوله كلا وجزءً و اتخذوا لأنفسهم و لقومهم أحكاما استوردوها من شرق أو غرب أو من أهواء أنفسهم فابتدعوا بذلك (ياسقا عصريا) هو شر من ياسق منكيزخان، ليحكموا به في الدماء، والأموال والأعراض و الشؤن الأخرى وهذه اكبر جرائمهم...

* وهم بسلوكهم في أمر الولاية والعزل، وفي تعيين نوابهم و ولاة أمورهم قد خانوا الله و رسوله والمسلمين وهذه أحدى جرائمهم.

* وبموالاتهم لأعداء الله من يهود وأمريكا وروس و أوروبيين وسواهم وضعوا أنفسهم في صف أعداء الله وأعدائنا قولا وعملا نابوا عنهم و كانوا رأس حربتهم وهذه جريمة أخرى.

* وهم بتشريدهم الدعاة و ملاحقتهم و كم أفواههم وقتلهم، أقاموا الحجة على أنفسهم فقد بلغوا وأنذروا وما زادهم هذا إلا عتوا ونفورا واستكبارا و هي جريمة آخرى.

- ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم ، أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين﴾.

حكم الدار التي نحن فيها الآن

- بعد ان فرغنا من الكلام عن الأحكام التي تعلوا بلاد المسلمين، وعن حكامهم بهذه الأحكام، ننتقل الى بحث فقرة جوهرية في هذا البحث و هي حكم الدار التي نحن فيها الآن. فمن المعروف أن فقهاء الإسلام الأقدمين قد قسموا الأرض في بحوث الجهاد و فقهه إلى نوعين:

١- (دار الكفر) أو دار الحرب.

٢- (دار الإسلام) أو دار السلم.

- ودار الزمان دورته وشاء الله أن تقوم أنظمة كفر في دار وبلاد الإسلام و أن يختلط الكفر بالإسلام على النحو الذي أشرنا إليه سابقاً.

جمهور الناس مسلمين، وفيهم المرتد.

وحكام البلاد مرتدون لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله، ويستوردون غيره من الأحكام ويفضلونها عليه.

والأحكام القائمة بالتالي في بلاد المسلمين هي أحكام كفر - وقد سبق بيان ذلك وأدلته.

وأنظمة الكفر وأعداء الإسلام تقوم بلادهم في تخوم بلاد الإسلام ولهم الشوكة، وقد سقطت بلاد إسلامية في أيدي الأعداء وتحولت الى دار حرب.

- إن إختلاط الأمور بهذا الشكل يوجب على فقهاء الأمة الأسلامية أن يبينوا أحكام الإسلام في حالات كهذه للناس حتى لا تميع الأمور ولا تختلط على النحو الذي يحصل.

- لم يمر في تأريخ المسلمين حالة كهذه حتى تقاس الأحكام عليها. اللهم إلا تلك الفترة التي تسلط التتار فيها على الحكم في بعض بلاد المسلمين وأنفذوا أحكامهم الوضعية التي جمعت فيما سمي - الياسق - وقد سبق بيانه وعاشت بعض البلاد فيها من المسلمين تحت حكم كفرة ظاهري الكفر. وقد تحدث شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله عن بعض الأحكام في مثل هذه الحالات وسنعرض لتلك الفتاوى في حينها إنشاء الله.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: نحن في دار كفر، أم في دار إسلام، وبالتالي هل هي دار حرب أم دار سلام...

- يورد عبد السلام فرج في رسالته القيمة (الفريضة الغائبة) كلاماً عن هذا الموضوع فيقول تحت عنوان (الدار التي نحن فيها):-

- ويبدوا هنا تساؤل، هل نحن نعيش في دولة إسلامية... من شروط الدولة أن تعلوها أحكام الإسلام. وقد أفتى الأمام أبو حنيفة رحمه الله: أن دار الإسلام تتحول الى دار كفر إذا توافرت ثلاثة شروط مجتمعة هي:

١- أن تعلوها أحكام الكفر.

٢- ذهاب الأمان للمسلمين

٣- المتاخمة والمجاورة (وذلك بأن تكون الدار المجاورة لدار الإسلام كفر بحيث يكون مصدر خطر على المسلمين وسبباً في ذهاب الأمن).

* وأفتى الإمام محمد والإمام أبو يوسف صاحبا أبي حنيفة بأن حكم الدار تابع للأحكام التي تعلوها.

- فإن كانت الأحكام التي تعلوها هي أحكام الإسلام (فهي دار الإسلام).

- وإذا كانت الأحكام التي تعلوها هي أحكام كفر (فهي دار كفر).

* وأفتى شيخ الإسلام في كتابه الفتاوى الكبرى (كتاب الجهاد) عندما سئل عن بلد تسمى (ماردين) كانت تحكم بحكم الإسلام ثم تولى أمرها قوم أقاموا حكم الكفر هل هي دار حرب أم دار سلم، فأجاب بأن هذا مركب فيه معنيان.

- فهي ليست بمنزلة دار سلم التي يجرى عليها أحكام الإسلام.

- وليست بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار.

- بل هي قسم يعامل المسلم فيها بما يستحق، ويعامل الخارج عن شريعة الإسلام بما يستحق.

* والحقيقة أننا لا نجد تناقضاً بين أقوال الأئمة فأبو حنيفة وصاحباه لم يذكروا أن أهلها كفار:-

- فسلم لمن يستحق السلم.

- والحرب لمن يستحق الحرب.

- فالدولة تحكم بأحكام الكفر بالرغم من أن أهلها مسلمون.

* ويبدوا لنا والله أعلم أن أقرب الأحكام لحالنا الآن حيث تعلوا أحكام الكفر دار، يفترض أن غالب أهلها أهل إسلام هو حكم إبن تيمية رحمه الله في ماردين. وعليه:-

- يعامل المسلم بما يستحق من السلم والمودة وصيانة الدم والمال.

- ويعامل الكافر المحارب في حال قيام حرب بين المسلمين الدعاة وأهل الكفر من الحكام وجنودهم ومن والاهم بما يستحق من حلة الدم والمال، حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا وتقوم دار الإسلام التي تعلوها أحكام الإسلام ويكون اهلها مسلمون.

ليس للمسلمين والدعاة أن يسبوا أهل البلد التى تعلوها أحكام الكفر وهم لها منكرون. ليس لهم سبهم بالنفاق والكفر والله أعلم.

بل الرمي بذلك كما قال إبن تيمية: حسب ما جاء في الكتاب والسنة ويكون بذلك للأولئك الذين والوا أعدائنا ووقفوا في صفهم مختارين لذلك الولاء عن رضى وإقرار دون إكراه.

---

* نص السؤل الذي سئل إبن تيمية -رحمه الله- عن بلد (ماردين) وهي بلد في شمال الشام، تقع في الأراضي التركية الأن:

- هل هي بلد حرب أم بلد سلم وهل يجب على المسلم المقيم فيها الهجرة الى بلاد الإسلام أم لا...؟
- وإذا وجبت عليه الهجرة ولم يهاجر وساعد أعداء المسلمين بنفسه وماله هل يأثم في ذلك...؟
- وهل يأثم من رماه بالنفاق وسبه أم لا...؟

* فأجاب:- الحمد لله... دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في ماردين أو غيرها.

- والمقيم بها إن كان عاجزاً عن إقامة دينه وجبت عليه الهجرة و إلا إستحبت ولم تجب.
- ومساعدتهم لعدوا المسلمين بالأنفس والأموال محرمة عليهم ويجب عليهم الإمتناع عن ذلك بأية طريقة أمكنهم من تعرض أو تغيب أو مصانعة فإذا لم يمكن إلا الهجرة تعينت.
- ولا يحل سبهم عموماً بالنفاق لأن السب والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكورة بالكتاب والسنة فيدخل فيها بعض أهل ماردين وغيرهم.
- أما كونها دار حرب أو سلم (فهي مركب فيها المعنيان ليست بمنزلة دار السلم التي تجري عليها أحكام الإسلام ولكون جندها مسلمين) (ولا بمنزلة دار الحرب التي أهلها كفار) بل هي قسم ثالث يعامل المسلم بما يستحق ويقاتل الخارج من شريعة الإسلام بما يستحق من احكام، الكفر بالرغم من ان أهلها مسلمون).

الجهاد في سبيل الله تعالى

١ - **الجهاد في اللغة:** مصدر جاهد، يقال جاهد يجاهد مجاهدة وجهادا اذا: بذل وسعه.

٢- **و الجهاد في الشرع:** له معنيان، عام وخاص.

فالمعنى العام للجهاد: هو أن يجتهد المسلم مستعينا بالله في تحصيل كل ما يقربه الى الله. وفي الإبتعاد عن كل ما نهاه الله عنه وله أربع مراتب:

الأولى: جهاد النفس في تعلم الهدى ودين الحق والعمل به.
الثانية: جهاد الشيطان الداعي الى الكفر والبدع والمنكرات.
الثالثة: جهاد أهل الظلم والبدع والمنكرات
الرابعة: جهاد الكفار والمنافقين.

وأما المعنى الخاص للجهاد: فهو بذل الوسع في قتال الكفار لتكون كلمة الله هي العليا ويقع المال والنفس واللسان.

- وإذا أطلق لفظ الجهاد في الشريعة، فالمراد به المعنى الخاص لا يختلف العلماء في ذلك.

يقول ابن القيم:

- ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته واذاه، كان الرسل صلوات الله عليهم وسلامه. من ذلك الحظ الأوفر، وكان لنبينا صلوات الله وسلامه عليه من أكمل الجهاد وأتمه.

* ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعاً على جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: (**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**) أخرجه أحمد وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي.

* كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج، وأصلاً له، فإنه مالم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمرت به، وتترك ما نهيت عنه، ويحاربها في الله، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج. فكيف يمكنه جهاد عدوه والأنتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه، ولم يجاهده في الله ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج الى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج.

* ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك الحظوظ وفوت اللذات.

* ولا يمكنه أن يجاهد ذينك العدوين إلا بجهاده فكان جهاده هو الأصل لجهادهما، وهو الشيطان، قال تعالى: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ فاطر:٦. والأمر باتخاذه عدواً تنبيه على استفراغ الوسع في محاربته ومجاهدته، كأنه عدو لا يفتر، ولا يقصر عن محاربة العبد على عدد الأنفاس.

* فهذه ثلاثة أعداء، أمر العبد بمحاربتها وجهادها وقد بلي بمحاربتها في هذه الدار، وسلطت عليه امتحانا من الله وابتلاءً.

* فأعطى الله العبد مدداً وعدة وأعواناً وسلاحاً لهذا الجهاد. وأعطى أعدائه مدداً وعدة واعواناً وسلاحاً.

* وجعل بعضهم لبعض فتنة ليبلوا أخبارهم ويمتحن من يتولاه ويتولى رسوله، ممن يتولى الشيطان وحزبه كما قال تعالى: ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون، وكان ربك بصيراً﴾ الفرقان:٢٠، وقال تعالى: ﴿ذلك ولو شاء الله لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ محمد:٤. وقال تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ محمد:٣١.

ويقول ابن القيم رحمه الله :- ....

* وأمرهم أن يجاهدوا فيه حق جهاده، كما أمرهم أن يتقوه حق تقاته وكما أن حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر.

* فحق جهاده أن يجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله فيكون كله لله، وبالله، لا لنفسه ولا بنفسه.

- ويجاهد شيطانه، بتكذيب وعده، ومعصية أمره وارتكاب نهيه، فإنه يعيد الأماني، ويمني الغرور ويعد الفقر. ويأمر بالفحشاء وينهى عن التقى والهدى والعفة والصبر، وأخلاق الإيمان كلها....
- فينشأ له من هذين الجهادين قوة وسلطان، وعدة يجاهد بها أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله. لتكون كلمة الله هي العليا.

فيما يلي تفصيل لكل نوع من هذه الأنواع الأربعة:

الأولى: جهاد النفس في تعلم الهدى ودين الحق والعمل به:

- خلق الله النفس الإنسانية وأودع فيها قوى وطاقات وركب فيها نوازع واستعدادات وقابليات. فجعل فيها: القوة المدركة الواعية، وهي القلب – والقوى القادرة على الحركة وهي الجوارح والأعضاء، والقوى الباعثة على الحركة والغرائز والنوازع.
- ثم من الله عزوجل على الإنسان بمنهاج حكيم ليأخذ به هذه القوى المختلفة، وجهاد النفس يكون بحمل طاقاتها على منهاج ربها الذي نزله لها. وتجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾ الشمس:٧-١٠. ومعنى ﴿ألهمها فجورها وتقواها﴾ أي أرشدها الى سبيل الخير، وبين لها سبيل الشر جميعاً. وتكون تزكيتها بحملها على طاعة الله تبارك وتعالى وتدسيتها بأخذها بمعصية الله سبحانه وتعالى.

وقد جعل بعض العلماء جهاد النفس في أربعة ميادين هي:-

١- جهادها على تعلم الهدى ودين الحق.

٢- جهادها على العمل به بعد علمه.

٣- جهادها على الدعوة الى الله.

٤- جهادها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله وأذى الخلق.

وفيما يلي تفصيل هذه الأنواع الأربعة:-

١- جهادها على تعلم الهدى ودين الحق:-

* جهاد النفس على تعلم الهدى ودين الحق، من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وسيرة الصحابة والصالحين. فإ هذا هو مبدأ جهاد النفس، ومن بدأ بغير هذه البداية في جهاد نفسه وتربيتها، فقد عرض نفسه للضلال والإنحراا لأن الله جل وعلا هو الذي خلقها، وهو أعلم بما يصلحها.

* فمن ابتغى صلاح نفسه صار مع منهج الله في تربيتها. ومنهجه مبين في كتابه الكريم، ومفصل سنة عبد المصطفى ﷺ وصورته التطبيقية عند هذا الرسول وصحابته "رضوان الله عليهم جميعاً" هذه بداية سليمة في جه النفس.

* وأما الذين يجاهدون أنفسهم بتصوراتهم، وتخيلاتهم مما لم يشرعه الله في كتاب ولا سنة، فقد ظلوا الطري وانحرفوا عن الصراط المستقيم، مهما كانت نياتهم لأن الله سبحانه لا يقبل أن يعبد إلا بما شرع في قرآنه وبيئ رسوله ﷺ.

* من أجل هذا رفع الله العلماء، فقال الله عز وجل: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين يعلمون﴾ الزمر:٩. أي لا يستوون في منزلتهم عند ربهم. لأن الذين يعلمون يعرفون كيف يصلحون أنفسهم وفا منهج الله تعالى لأنهم تبينوا بعلمهم عظمة الخالق، وضعف المخلوق وقدرة الباري، وحاجة العباد إليه، وحكمة الله ع وجل، وجهل من سواه، وطرق الهدى، وما تقود إليه من سعادة الدارين وطرق الظلال وما تؤدي إليه من خسرا مبين.

* وأما الذين لا يعلمون فيفسدون أنفسهم، باتباعهم مناهج في تربيتها ليست من عند الله سبحانه وتعالى ولذلك قا عز وجل:- ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ المجادلة:١١.

٢- جهادها على العمل والإلتزام بما تعلمت:-

* ان معرفة الطريق لا تجدي إن أحجم الإنسان عن سلوكها بل قد تضره هذه المعرفة، إذ بها تقوم الحجة عله عند ربه وما أحسن قول الشاعر:

لو كان العلم دون التقى شرف لكان أشرف خلق الله إبليس

• وهذا المنهج في تربية النفوس وجهادها هو منهج الصحابة رضوان الله عليهم، وقد تلقوه عن أسوتهم وقائدهم رسول الله ﷺ. **فقد ذكر إبن التيمية عن أبي عبد الرحمن السلمي انه قال: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: عثمان بن عفان وعبدالله بن مسعود وغيرهم أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي r عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا: -اي الصحابة- فتعلمنا العلم والعمل.**

• وأول الإلتزام وأجله هو:-

إلتزام القلب بعبادة الله عز وجل بالإخلاص لله سبحانه.

وخشيته.

ورجائه.

- وحبه.

- ومراقبته.

- والتوكل عليه.

والانابة عليه.

والإستعانة به.

وغير ذلك من أعمال القلوب.

ثم إلتزام الجوارح بطاعة الله، والانتهاء عما نهى عنه:-

بعض نصائح العلماء:

• فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصراً في العمل، ولكن أجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما.

• وما شيء أضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم الى عبادته.

• والعلم يراد للعمل، كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم، كان العلم كلاً على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كلاً وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً.

• العلم خادم العمل، والعمل غاية العلم، فلولا العمل لم يطلب علم، ولو العلم لم يطلب عمل، ولأن أدع الحق جهلاً أحب الي من أن أدعه زهداً فيه....

* إذن أيها الأخ المؤمن – أن جهاد النفس على إلتزام بما تعلمت هو أساس الأجر والثواب في دين الله تعالى به تحصيل الإيمان بالله وبرسوله ﷺ.

– قال سبحانه وتعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ النجم:٣٩.

– وقال سبحانه: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾ الكهف:١١٠.

* ورتب سبحانه الجزاء على العمل والكسب في عديد من الأيات:

– فقال: ﴿جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ التوبة:٨٢–٩٥.

– وقال أيضاً: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾ الكهف١٠٧–١٠٨، وقال: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا﴾ مريم:٥٩–٦٠.

– **ويقول الرسول ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع: عن عمره فيما افناه، وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما ابلاه)** اخرجه الترمذي وقال عنه حديث حسن صحيح.

٢– جهادها على الدعوة الى الله :–

* جهاد النفس على الدعوة الى ما تعلمت من الحق والهدى وإلا كان صاحبها من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات.

* وهذا النوع من أهم أنواع الجهاد واخطرها، وخاصة عندما يكثر الخبث بين الناس، وينتشر الفساد، وتعم الجاهلية، ويترك العباد حكم الله تعالى.

* فإن غياب –حكم الله– هو الذي يفسح المجال لأعداء الله وأعداء الخير من شياطين الإنس والجن لينشروا باطلهم وفسادهم.

١ جهادها على الصبر على مشاق الدعوة:-

* فإن الجهاد من النوع السابق، وهو الدعوة الى الله -عزوجل- يتبعه حتماً أذى ومضايقات من الناس، بسبب ..هم وحفاظاً على مكاسبهم الدنيوية التي إرتبطت بالإنحراف. فلابد للمؤمن من جهاد نفسه على الصبر على ذلك، ..لا تفتتن، وتنحرف عن صراط الله، أو تتقاعس في الدعوة الى سبيله سبحانه.

وزاد المؤمن في هذا الجهاد:-

الثقة بالله تعالى، وتذكر وعده لمن يجاهد في سبيله ويدعوا إليه. حيث قال عز من قائل: ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ الحج:٣٨.

- والثقة بأحقية ما يدعوا إليه: وهو حكم الله سبحانه ومنهجه ﴿ومن أحسن حكماً من الله لقوم يوقنون﴾ المائدة:٥٠.

- الثقة بحسن المآل الذي سيصير إليه المجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الله. وذكر المصير الذي سيؤول إليه العباد في اليوم الأخر. فيكون طمعه في رضا الله وجنته أعظم من رغبته في نعيم الدنيا ومباهجها.

- وخوفه من عذاب الله عز وجل، وتارة أشد من خوفه من عذاب الناس ومضيقتهم فلا يجعل نفسه مع الذين قال عنهم الله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ العنكبوت:١٠.

* والمثل الأعلى للنفس المؤمنة في هذا الجهاد -رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله تعالى عليهم فقد لاقوا من صنوف الأذي ما لا يعلم مداه إلا الله فصبروا وصبروا وجاهدوا أنفسهم في هذا الميدان، حتى نصرهم الله العزيز الحكيم.

يقول إبن القيم:

* فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانين، فإن السلف مجموعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حتى يعرف الحق ويعمل به، ويعلمه، فمن عمل وعلم فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السموات.

الثاني: جهاد الشيطان الداعي الى الكفر والبدع والمنكرات:

* ان من فضل لله على العباد، ورحمته بهم، أن عرفهم على أعدائهم الذين إبتلاهم بهم في هذه الحياة الدنيا، وعلى أساليبهم وطرقهم في الصد عن سبيل لله سبحانه، وعلى طرق مجاهدتهم وأساليب الوقاية ودفع شرهم.

* وقد كان مما عرفنا لله عليه من هؤلاء الأعداء -الشيطان- فقد أخبرنا سبحانه وتعالى عن هذا العدو وأساليبه، وطرق جهاده.

* والذين يؤمنون بالقرآن يؤمنون بكل ما جاء فيه، فيؤمنون بأن هنالك شيطاناً (يوسوس للعبد) (ويزين له) (ويدفع في عقله الريب والشكوك والشبهات) (ويثبطه عن الخير) (ويحثه على الشر) (ويلقي إليه الأماني الكاذبة).

* وأخبرنا سبحانه عن هذا المخلوق أنه نذر نفسه من أول الأمر لمحاربة الإنسان، وصده عن سبيل لله.

- فقال تعالى: ﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ الأعراف:١٦-١٧.

- وقال أيضاً: ﴿ربي بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ الحج٣٩-٤٠.

- وقال عز وجل: ﴿وإن الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم﴾ الأنعام:١٢١.

- وقال أيضاً: ﴿الشيطان يعدكم الفقر، ويأمر بالفحشاء﴾ البقرة:٢٦٨.

* وقد ذكر الشيطان في كتاب لله كثيراً، وتحذيراً منه، وحثاً على جهاده وبيناً لأساليبه مع العباد في الصد والغواية: فقد جاء بصيغة المفرد في سبعين آية، وبصيغة الجمع في ثماني عشرة آية. وفي هذه دلالة بالغة على خطورة هذا العدو على الإنسان، ووجوب الحيطة له، والحذر منه. واستفراغ الوسع في مجاهدته فقد قال عزوجل:

﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ فاطر:٦. والأمر بإتخاذه عدواً معناه وجوب استفراغ كل جهد ممكن في محاربته ومجاهدته.

مداخل الشيطان

* إن للشيطان مدخلاً واسعاً يدخل منه الى قلب المؤمن، ولهذا المدخل أبواب وشعب كثيرة فإن استطاع العبد أن يسد هذا المدخل ويغلق تلك الأبواب فقد قطع الطريق على هذا العدو اللعين. وصار ممن قال الله عنهم: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ الإسراء:٦٥.

* فأما مدخل الشيطان الأساسي فهو الهوى والشهوات فإنها مبدأ استلاء الشيطان على قلب الإنسان، فمن امتلأ قلبه بها واستنبط معها أكثر مما ينبغي فقد وفر للشيطان قوته وأعانه على نفسه وفتح له الطريق إلى قلبه. وكان ممن قال عنهم الله سبحانه وتعالى:- ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ الجاثية:٢٣.

- ومثل الذي أخبر سبحانه في قوله: ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه أياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ الأعراف:١٧٥-١٧٦، فانظر كيف يتبع الشيطان عبد الهوى ويستحوذ عليه.

- وأما عبدالله المتحرر من عبودية الهوى، فليس للشيطان عليه سلطان، ومهما حاول معه فإنه مهزوم لا محالة، كما انهزم مع رسول الله ﷺ والصالحين.

- **(ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة، قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال وإياي، ولكن الله أعانني عليها فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير)** رواه مسلم. ومعنى أسلم: أي استسلم وانقاد لي ولهذا قال **(فلا يأمرني إلا بخير)**.

* والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول اثار الملك واثار الشيطان. صلاحاً متساوياً، ليس يترجح أحدهما على الأخر، وإنما يترجح أحد الجانبين (بإتباع الهوى والأكبات على الشهوات) أو الاعراض عنها ومخالفتها.

- فإن اتبع الإنسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوى، وصار القلب عش الشيطان ومعدنه لأن الهوى مرعى الشيطان.

- وإن جاهد الشهوات، ولم يسلطها على نفسه. وتشبه بأخلاق الملائكة -عليهم السلام- صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم.

- ولما كان لا يخلوا قلب عن غضب وشهوة وحرص وطمع وطول أمل - الى غير ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن أن يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة. ولذلك قال ﷺ: (**ما منكم من أحد إلا وله شيطان........**).

* وقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يبين لنا كيف يأتي الإنسان من طرق شهواته.

- فقد أخرج النسائي بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ قال: (**إن الشيطان قعد لابن آدم بطرق: قعد له بطريق الإسلام فقال: أتسلم وتترك دينك ودين آبائك. فعصاه واسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة، فقال أتهاجر: أتدع أرضك وسمائك، فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: أتجاهد، وهو تلف النفس والمال فتقاتل فتقتل وتنكح نساؤك، ويقسم مالك. فعصاه وجاهد ثم قال رسول الله ﷺ فمن فعل ذلك فمات كان حقاً على الله أن يدخله الجنة**).

- ففي هذا الحديث أشار رسول الله ﷺ إلى معنى وسوسة الشيطان وضرب لها المثل، وبين لنا الأبواب التي يدخل منها إلى قلوبنا وهي: أبواب الشهوات مما يتعلق بالمال والسلطان والنساء.

- فعمل الشيطان هو الوسوسة والتزيين وإلقاء الأماني من أجل صرف الإنسان عن أمر فيه طاعة لله سبحانه وإيقاعه في أمر اخر لا يحبه الله لعباده. وذلك بأن يصور للعبد جانب المرغوب من المعصية ويزينه له ويضهره بشكل مبالغ فيه. وهذا الجانب هو اللذة العاجلة التي تحصل للإنسان بفعل معصية، أو ترك الطاعة والتي تكون نتيجة مباشرةلأشباع الشهوة في النفس.

ومداخل أخرى يدخل فيه الشيطان الى قلب الإنسان:

١) شهوة السلطان والجاه وحب الذات.

٢) شهوة الجنس.

٣) شهوة التملك وحب المال.

٤) الغرور العقلي، إذا ظن الإنسان ان له القدرة العقلية المطلقة التي لا حدود لها في المعرفة.

٥) حب الإتباع والشهوة .

طرق جهاد الشيطان:

* أن يؤمن الأنسان بما أخبر الله عنه، ويستشعر خطورته ليملأ قلبه بالعزم على مقاومته ومجاهدته، وإلا فمن استهان بالأمر لم يكن قادراً على دفع أذى هذا العدوا لأن من أهم عوامل التي ينبني عليها النصـر معرفـة العدو ومدى خطره.

* إدراكه لعظمته وجلاله، مما يجعله يدرك استحقاق هذا الرب دون غيره للطاعة، ويكون هذا بالتفكير في ملكوت الله سبحانه وإدامة رؤية النظر في عظيم صنعه وتأمل أياته المثبوتة في هذا الكون.

* مراقبة الله عز وجل ويكون هذا بالاستزاد من ذكر الله سبحانه، بصفاته وما يليق بجلاله، وتلاوة كلامه وآياته وعبادته بما شرع من الطاعات.

* إذن بالفكر يدرك العقل عظمة لله عز وجل، ويستيقن بأحقيته سبحانه للطاعة والعبادة، وعدم استحقاق غيره لشيء منها وعندئذ لا يلتبس على المؤمن ما يلقيه الشيطان من الشبهات حول عقيدته. بل يعرفه حق المعرفة.

* إذ تستقر في قلبه قاعدة واضحة. وهي أن كل ما يمر بالخاطر مما لا يليق بالله وجلاله وكماله، أو يناقض ما أخبره عنه فهو من الشيطان وتزيينه ووسواسه.

* وكذلك بالذكر يضل القلب مستيقضاً، راجياً لله خائفاً منه، مما يدفع صاحبه للالتزام بطريق الله في كل شأن من شؤون حياته كما أشرنا إليه في المحاضرة السابقة (من طرق جهاد النفس) (حملها على الإلتزام بهدى لله بعد معرفته).

* وهاتان الوسيلتان (الذكر – والفكر) هما مسلك المؤمنين الصادقين كما أخبر عنهم ربهم سبحانه وتعالى:–

فقد قال:﴿إن في خلق السموات والأرض وإختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار﴾ ال عمران

- وقال سبحانه: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾ الأعراف:٢٠، أي تذكروا ربهم وعقابه، وجزيل ثوابه ووعده ووعيده، فتابوا وأنابوا واستعاذوا بالله ورجعوا إليه.

- وقال أيضاً: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ آل عمران:١٣٥.

- والشيطان قرين كل إنسان يعرض عن ذكر الله عز وجل ولا يتفكر في عظمته وجلاله، ولا يستفيد من آياته، وإنما يمر عنها كالأصم الأعمى، وقال سبحانه: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً وهو له قرين﴾ الزخرف:٣٦.

ومن الوسائل في مجاهدة الشيطان وما يساعد على الوقاية منه.

* جهاد النفس بحملها على تعلم ما يرضاه الله من العقائد والمناهج والمسالك، وعلى الإلتزام بما عرفت من الحق.

* وحمل ما فيها من الغرائز والمطالب على حدود الله المفصلة في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله محمدﷺ.

- ذلك أن عمل الشيطان هو التزيين والتدليس على الإنسان وقلب الحق باطلاً، والباطل حقاً، بما يلقيه من الشبهات والوساوس.

- فإذا كان عند المرء فرقان يفرق به بين الخير والشر، والحلال والحرام سهل عليه التفريق بين لمة[١] الملك ولمة الشيطان.

- جهاد النفس بدعوة الناس إلى الحق الذي عرفه بالتعلم، هو جهاد للشيطان الذي استحوذ على الآخرين، ومطاردته له في خارج نفسه، بعد أن يكون قد طاردته في داخلها.

---

[١] هي الخطرة بالقلب: لمة الشيطان بوسوسته للإنسان بالسوء، ولمة الملك: بإيحائه بالخير.

– التوبة إلى لله بالرجوع إليه واستغفاره سبحانه، والإستعاذة به من الشيطان.

– الندم على المعصية، والعزم على الطاعة وبهذا تخلص أبو البشر آدم –عليه السلام– من الشيطان. بعد ان وجد إليه سبيلاً كما أخبر لله عز وجل: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ الأعراف:٢٣. تخلص من الشيطان ومكيدته بذكر لله والرجوع إليه والإستغفار، فقبل لله توبتهما واستجاب لهما كما قال سبحانه: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ البقرة:١٢٧.

– وكذلك علمنا ربنا أن نستعيذ به من الشيطان، قال عز وجل: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون﴾ المؤمنون:٩٧–٩٨، (والمعوذتين).

* وهكذا بالذكر والفكر والعلم والتوبة يتحصن المؤمن من الشيطان ويتخلص من مصايده وأحابيله إن وقع فيها.

الثالث: جهاد أهل الظلم والبدع والمنكرات:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

* هذا الواجب العظيم هو الواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو الوظيفة الربانية التي جعلها الله لجماعة المسلمين بين أهل الأرض جميعاً، فإن قامت به على الوجه الذي يرضي ربها، حازت على الشهادة الخيرية على كل الأمم، وتأهلت بذلك لقيادة البشرية كلها في طريق الإيمان. قال تعالى في بيان وظيفة هذه الجماعة: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ الحج:٤١، هذا هو المطلوب من الجماعة المسلمة عندما يمكنها الله في الأرض:

أن تعبده حق عبادته.

- وتقيم شرائعه.

- وتصون الحياة من الشر والفساد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله.

* وقال تعالى مبيناً أن الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مؤهلات الأمة التي تصلح لقيادة الناس في هذه الحياة: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ العمران:١١٠. فهذا المنصب العظيم لا يوصل إليه: - بمجرد إدعاء - ولا بالوراثة - ولا بمجرد الترقي في علوم المادة - وإنما بالإيمان بالله عز وجل واستمداد المعارف وتلقي المناهج والأحكام منه سبحانه - ثم الدعوة الى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر -.

* وجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا أخذنا بمعناه الشامل دخل فيه جميع انواع الجهاد، - جهاد النفس - والشيطان - والكفار - والمنافقين -.

* فجهاد النفس أمر لها بالمعروف ونهي لها عن المنكر.

* وجهاد الشيطان كذلك نهي للناس عن اتباع منكره الذي يدعوا إليه والإبتعاد عن حبائله ومكائده.

* وجهاد الكفار بدعوتهم الى الله، وبالسيف أمر لهم بالمعروف الأكبر وهو الإيمان بالله، ونهي لهم عن المنكر الأكبر، وهو الكفر والشرك، وكذلك جهاد المنافقين.

تعريف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإلى من يرجع في معرفة الميزان في ذلك:

* الأصل في معنى المعروف: أنه اسم لكل خير – والمنكر اسم لكل قبيح.

يقول إبن منظور في لسان العرب:

* وقد تكرر ذكر المعروف في الحديث هو: اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان الى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع.

* والمنكر ضد المعروف وهو كل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر.

ولكن ما الميزان الصحيح والضابط في تمييز الخير من الشر والحسن من القبيح؟ ومن المرجع في ذلك؟

* فإنه ليس من شك في أنه لا يصح ولا يعقل أن يرجع في معرفة الميزان في ذلك الى من يعتوره: –الجهل والنقص والهوى والشهوة– وغير ذلك من النقائص. ومن هنا لا يجوز أن يرجع في وضع هذا الميزان إلى الإنسان مهما كان سواء كان – حاكماً أو محكوماً – غنياً أو فقيراً – فرداً أو جماعةً – أمة أو جيلاً–.

* إذن لابد للإنسان من الرجوع إلى ربه ليحدد له المعروف والمنكر ويضع له الميزان للتمييز بين الخير والشر والحق والباطل.

– فإنه تعالى وحده المنزه عن كل نقص والمتصف بصفات الجلال والكمال هو الذي خلق كل شيء. وهو العليم الخبير.

– ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وليس بحاجة إلى أحد، أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. فهو المنزه عن التحيز للبشر، وعن ظلمهم.

– فهو وحده الذي يجب على البشر الرجوع اليه ليعرفهم على القيم الرفيعة، والأخلاق السليمة والشرائع الحكيمة.

- إذ هو خلقهم وخلق كل شيء ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ الملك:١٤. وغيره لا يستطيع أن يهدي إلى الخير، إذا يستمد ويتلقى منه سبحانه ﴿إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ الأنعام:١٧٠، فالله وحده هو مصدر الهدى ومرجعه، وأول الطريق في الهدى وأصله هو الإستسلام لله وطاعته والإنقياد لأمره.

ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول إبن تيمية رحمه‌الله تعالى في بيان الحاجة الى القيام بهذه الفريضة:

- وكل بشر على وجه الأرض فلابد له من أمر ونهي، ولابد أن يأمر وينهي حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهاها، اما بمعروف أو بمنكر. كما قال تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾ يوسف:٥٣.

* فإن الأمر هو طلب الفعل وإرادته، والنهي طلب الترك وإرادته.

* ولابد لكل حي من إرادة وطلب في نفسه يقتضي بهما فعل نفسه ويقتضي بهما فعل غيره إن أمكن ذلك.

* فإن الإنسان حي يتحرك بإرادته، وبنو آدم لا يعيشون إلا بإجتماع بعضهم مع بعض، وإذا اجتمع إثنان فصاعداً فلابد أن يكون بينهما إئتمار بأمر وتناه عن أمر.

* إن الأمر والنهي من لوازم وجود بني آدم فلابد أن يأمر وينهى ويؤمر وينهى – اما يأمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله – وينهى عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله – ويؤمر بالمعروف الذي أمر الله به ورسوله – وينهى عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله.

* وجود أعداء كثيرين لابن آدم – من الشياطين – والكفار – والمنافقين.

* إن لهؤلاء الأعداء أعواناً في الإنسان نفسه من – الأهواء – والشهوات – ولتعلم أن هؤلاء الأعداء لا يفترون عن محاربة المؤمن ومحاولة إخراجه عن طاعة ربه.

* وأهل الإيمان في مواجهة هؤلاء الأعداء أصناف:–

١– فمنهم من يستجيب لهم في الكفر والإرتداد.

٢– ومنهم من يستجيب لهم في معصية الله في بعض الأمور وهؤلاء هم أهل المعاصي.

٣– ومنهم من لا يستجيب لهم لا في الكفر ولا في المعاصي وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون.

* إذا كان أعداء المؤمنين دائبين في حربه وصده عن سبيل الله فإن أعظم الخطر أن لا يجد هؤلاء الأعداء من يقف أمامهم من المؤمنين الصادقين. لأن حصيلة هذا الموضوع ستكون نقصا مستمراً في جانب أهل الإيمان.

* وزيادة مستمرة في جانب أهل المعاصي حتى يصبح الصادقون من المؤمنين أنفسهم على خطر عظيم. غير أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف أمام المستجيبين للشياطين من الظالمين والفاسقين، وإعادتهم إلى حضيرة الطاعة لله بوسائل اللين والشدة كل ذلك:

١-يوقف في المد الشيطاني.

٢- ويقلل من معصية الله وأهلها في مجتمع الإيمان.

٣-وينجي هذا المجتمع من غضب الله والفتن العامة الطامة.

* وهذه الفتن التي لا ينجوا منها إلا الذين ينهون عن السوء ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولهذا قال سبحانه:

- ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ الأنفال:٢٥.

- وفي المقابل يقول عز وجل: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾ الأعراف:١٦٥.

- فمن لا ينهي عن السوء لا ينجيه مجرد إيمانه، وقيامه ببعض الطاعات عند حلول الفتن والمصائب، ولكن الذي ينجيه هو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بعد إيمانه وطاعته لربه.

- وقد ذكر الأمام أحمد أثراً فيه: (**أن الله سبحانه أوحى الى ملك من الملائكة أن اخسف بقرية كذا وكذا، فقال: يا رب كيف وفيهم فلان عابد؟ فقال: به فابدا فإنه لم يتمعر وجهه في يوم قط**) أعلام الموقعين.

أخطار تعطيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يقول أبن القيم:

* وقد غر ابليس أكثر الخلق بأن حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلاة والصيام والزهد في الدنيا والإنقطاع. وعطلوا هذه العبوديات: أي (جهاد الدعوة) فلم يحدثوا قلوبهم بها وهؤلاء عند ورثة الأنبياء من أقل الناس ديناً، فإن الدين هو القيام لله بما أمر به.

* وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم لله تنتهك وحدوده تضاع، ودينه يترك وسنة رسوله ﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب، ساكت اللسان؟ شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق.

* وهل بلية الدين من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مأكلهم ورياستهم فلامبالاة بما جرى على الدين؟! (وخيارهم المتحزن المتلمظ). ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاث بحسب وسعه. هؤلاء مع سقوطهم من عين الله، ومقت الله لهم، قد بلوا في الدنيا بأعظم بليه وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب. فإن القلب كلما كانت حياته اتم كان غضبه لله ورسوله أقوى وأنتصاره للدين أكمل.

* فهذا النوع من الجهاد تقوية لجبهة أهل الإيمان الداخلية. وتنقية لها من كل فاسد مفسد، وتضييق لأهل النفاق وقصم لظهورهم. أما العزوف عن هذا الجهاد فيكون فيه تقويه للمنافقين واعلاء لشأنهم وإمداد لشرهم وفسادهم.

* حدثنا رسول الله ﷺ حديثا يبين ضرورة هذا النوع من الجهاد والضرر العظيم الذي يترتب على إهماله.

– فقد روي النعمان ابن بشير (رض) عن النبي ﷺ قال: **(مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعظهم أعلاها وبعضهم اسفلها، وكان الذين في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو انا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعاً، وإن اخذوا على أيدهم نجوا جميعاً)** رواه البخاري والترمذي.

– بين الرسول ﷺ في هذا المثل أن هلاك المجتمع إنما هي نتيجة محتومة لترك أصحاب المنكر والفساد يعيشون في الأرض فساداً وعدم الأخذ على أيدهم.

– وإن المنكر قد يرى في أول الأمر هيناً وبسيطاً، كالخرق في السفينة فإن ترك مع بساطته وعدم إتساعه، فشى في المجتمع المسلم وازداد حتى يؤول في آخر المطاف إلى بلاء عظيم. وقد يؤدي إلى قضاء عليه (أي: على المجتمع المسلم) وهذه سنة من سنن الله عز وجل أشار إليها في قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبنا الذين ظلموا منكم خاصة..﴾.

يقول ابن العربي المالكي:

* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين وعمدة من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين، والمقصود الأكبر من بعث النبيين، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادى بشرط القدرة عليه.

الرابع: جهاد الكفار والمنافقين

* إن وجود أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أمر قديم نشأ منذ خلق آدم عليه السلام وأمر الله للملائكة بالسجود له فسجدت إلا إبليس أبى واستكبر. لقد كان أمر الله لإبليس أن يسجد فكان رده لعنه الله الإمتناع والإستكبار مستخدماً في ذلك قياسه الفاسد: إن النار أشرف من الطين! وهو بهذا ينصب نفسه نداً لله سبحانه وتعالى:

* وانقسام الناس إلى فريق الهدى وفريق الضلال بدأ بهذه البداية كما ذكر ذلك المولى سبحانه: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير﴾ التغابن:٢.

- فأما الفريق الذي أجاب دعوة الرسول وآمن بكتب الله المنزلة ورسله المبعوثين رحمة للناس فهؤلاء أولياء الرحمن.

- فأما الفريق الذي أعرض واستكبر فهم أولياء الشيطان.

- فما دام أن إبليس عدو لآدم فلاشك أن أتباع إبليس وحزبه أعداء لأولياء الرحمن وأتباع المرسلين. ومن ثم فلا التقاء بين الفريقين ولا هوادة بينهما.

- إنها الحرب والعداوة والحسد والإستهزاء والسخرية والمكر والخديعة وكل ما يوصي به إبليس لأتباعه ذلك سلاح حزب الشيطان.

* إذا كان أولياء الرحمن مصرّين على إتباع هدى ربهم، فإن أولياء الشيطان يصرون أيضاً على التردي في حمأة الجهل والضلال. عابدين للطاغوت سواء كان هذا الطاغوت نداً يعبد أو شهوة يراد إشباعها أو جنساً أو لغة أو سلطة أو أرضاً أو دين الآباء الأولين.

- وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ البقرة:٢٥٧.

* أما حزب الرحمن فهم الذين ينتمون إليه سبحانه، ويستظلون برايته - ويتولونه ولا يتولون أحداً غيره، وهم أسرة واحدة وأمة واحدة من وراء الأجيال والقرون، ومن وراء المكان والأوطان ومن وراء القوميات والأجناس ومن وراء الأورمات والبيوت.

* وقد جاء الدين الإسلامي بفيصل التفرقة بين الحق والباطل، وبين الإسلام والجاهلية فلم يجعل التقاء الناس على أساس العرق أو اللون أو الجنس أو التراب كما تفعل ذلك الجاهليات القديمة والحديثة على السواء - بل جعل التقاء الناس على العقيدة في الله، وجعل المفاضلة بينهم بالعمل الصالح.

- قال تعالى: ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ...﴾ الحجرات:١٣.

* إذن أن العداوة بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان أمر متأصل وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وذلك لأن المنهجين مختلفان، ويستحيل الإلتقاء بينهما، لأن حزب الله يريد إقامة كلمة الحق في الأرض وهيمنة الشريعة الإسلامية على كل وضع. وحزب الشيطان يغيضه هذا المنهج فيسعى جاهداً في سحقه وإبادته ما استطاعة الى ذلك سبيلا.

* ومن هنا كان الجهاد لأنه هو السبيل الوحيد للمفاصلة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان.

* وإذا رجعنا إلى سيرة المصطفى ﷺ لوجدنا أن الجهاد هو الخطوة التالية للهجرة النبوية، مما يدل على أهميته في إقامة هذا الدين، وبيع المهج في سبيل الله تلبية لنداء الجهاد في سبيل الله.

* ومن المعلوم أن هذا الدين الحنيف يأمر بدعوة الناس إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة والألوهية فإذا لبوا هذا النداء فهذا هو المراد من بعثة الرسل، وإنزال الكتب، وإن انتكصوا على أعقابهم فلابد من جهادهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

* فالدين الإسلامي يبدأ بدعوة الناس إلى الخير وجدالهم بالتي هي أحسن فإذا قامت عليهم الحجة ثم أعرضوا وجب قتالهم.

* وإذا كان هناك سلطان وطواغيت ترفض أن يستمع الناس للإسلام، فإنه يجب بتر هذه الطواغيت من أساسها لتبلغ كلمة الإسلام للناس.

* ثم يأتي هنا مبدأ ﴿لا إكراه في الدين﴾ أي: إذا سيطر سلطان المسلمين على منطقة ما فإن أهلها لا يجبرون على اعتناق عقيدة الإسلام ولكن يجب أن يخضعوا لسطانه، فإن أسلموا فلهم ما للمسلمين، وإن طلبوا البقاء على ديانتهم فعليهم دفع الجزية للمسلمين. وإلا فالسيف بينهم وبين المسلمين.

ومن هنا : فإن أهداف الجهاد في الإسلام أهداف سامية عالية فهو:

١- يقاتل الكفار لتحرير حرية العقيدة.

٢- ويجاهد ثانيا لتقرير حرية الدعوة.

٣- ويجاهد ثالثا لإقامة نظام الإسلام في الأرض، وتحقيق حرية الإنسان، حينما يقرر أن هناك عبودية واحدة لله الكبير المتعال ويلغي من الأرض عبودية البشر في اشكالها.

* فليس هناك فرد ولا طبقة ولا أمة تشرع الأحكام للناس، وتستذلهم عن طريق التشريع، وإنما هناك رب واحد للناس جميعاً وهو الذي يشرع لهم وهو الذي يتوجهون اليه وحده بالطاعة والخضوع كما يتوجهون إليه بالإيمان والعبادة على السواء.

بدء شرع الجهاد وختامه:

أ- ولم يشرع الجهاد -بمعنى قتال الكفار- إلا في شريعة موسى -عليه السلام- بعد هلاك فرعون بقوله تعالى:

﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة -إلى قوله تعالى- اذهب أنت وربك فقاتلا﴾ المائدة.

* ولما لم يقاتل بنو إسرائيل عاقبهم الله بالتيه، ومات موسى ومن قبله أخوه هارون -عليهما السلام- بالتيه، ثم تولى أمرهم من بعد موسى فتاه يوشع بن نون (عليه السلام) فقاتلوا معه، وهو الذي حبس الله له الشمس عن الغروب حتى فتح عليه، كما ورد في الحديث المتفق على صحته والذي ورد فيه أن الغنائم كانت محرمة عليهم.

ب- أما قبل موسى -عليه السلام- فلم يشرع الجهاد، وإنما كان كل نبي يدعوا قومه حتى يبلغ ذلك ما شاء الله، ثم يهلك الله تعالى من كفر من قومه بالأسباب السماوية، وينجي رسله والذين آمنوا معهم برحمة منه.

- قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى﴾ القصص:٤٣. فبين سبحانه أنه كان يهلك الكافرين بأسباب السماء قبل موسى ثم فصل سبحانه كفية هذا الإهلاك في قوله تعالى:

- ﴿فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ العنكبوت:٤٠

هذا في كيف بدأ شرع الجهاد؟

ج- أما نهايته وآخره فقتال المسلمين مع عيسى بن مريم -عليه السلام- بعد نزوله من السماء للدجال ومن معه من اليهود كما أخبر رسول الله ﷺ في حديث الطائفة المنصورة قال -عليه الصلاة والسلام- (**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال**) رواه أبوداود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

* ويكون ذلك قبيل قيام الساعة، إذ بعده خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم بغير قتال، ثم موت عيسى (عليه السلام) ثم خروج الشمس من مغربها فيختم على كل قلب بما فيه. ثم تخرج الدابة لتميز المؤمن من الكافر، ثم تهب الريح الطيبة التي تقبض أرواح جميع المؤمنين، ويبقى على الأرض شرار الخلق عليهم تقوم الساعة.
الجامع في طلب العلم الشريف عبدالقادر ابن عبدالعزيز.

فضل الجهاد والمجاهدين

* وعبودية الجهاد من أشرف وأحب انواع العبودية لله سبحانه وتعالى لأنه لو كان الناس كلهم مؤمنين لتعطلت هذه العبودية وتوابعها من:

* المولاة فيه سبحانه والمعاداة فيه والحب فيه والبغض فيه.

* وبذل النفس له في محاربة عدوه.

* وعبودية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* وعبودية الصبر ومخالفة الهوى.

* وإيثار محاب الرب على محاب النفس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

* إنه لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه.. لأن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، وهو مشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة.

- ففيه من محبة لله والإخلاص له والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له - والصبر والزهد وذكر لله وسائر أنواع الأعمال ما لا يشتمل عليه عمل أخر.

- والقائم به من الشخص والأمة بين الحسنيين دائماً: إما النصر والظفر وإما الشهادة والجنة.

ففيما يلي بعض النصوص حول فضل الجهاد والمجاهدين:

- ﴿يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون، يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم، وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ سورة الصف: ١٠-١٣.

- ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾.

- ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ آل عمران ١٦٩-١٧٠.

- قال ﷺ: (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيله وتوكل الله للمجاهد في سبيل الله بأن يتوفاه ان يدخله الجنة او يرجعه سالماً مع اجر او غنيمة) البخاري ومسلم.

- جاء رجل إلى رسول الله (ص) فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد. قال: لا اجده. قال: هل تسطتيع إذا خرج المجاهد ان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر؟ قال: ومن يستطيع ذلك؟) رواه البخاري.

- قال ﷺ: (لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها) أخرجه البخاري.

- والجهاد في سبيل الله ذروة سنام الإسلام كما جاء في الحديث: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد) رواه الترمذي وابن ماجه وقال الألباني حديث صحيح.

- ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به -الى قوله- وبشر المؤمنين﴾ التوبة ١١١.

يقول ابن القيم رحمه الله :-

* أخبر سبحانه أنه: ﴿اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾ وأعاضهم عليها الجنة وان هذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن.

- ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى.
- ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه.
- ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم.

* فليتأمل العاقد مع ربه عند هذا التبايع:- ما أعظم خطره وأجله فإن الله عز وجل هو المشتري وثمن جنات النعيم -والفوز برضاه- والتمتع برؤيته هناك. والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم من الملائكة والبشر.

* وإن سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم وخطب جسيم قد هيئوك لأمر لو فطنت له - فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل.

* مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكها الذي إشتراهما من المؤمنين. فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة. بالله ما هزلت فيستامها المفلسون. ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعصرون. لقد أقيمت للعرض في السوق من يريد. فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس. فتأخر البطالون. وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن.

* فدارت السلعة بينهم، ووقعت في يد ﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ المائدة٥٤. ولما كثر المدعون للمحبة، طولبوا بإقامة البنية على صحة الدعوى (فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلى حرفة الشجي). فتنوع المدعون في الشهود فقيل: لا تثبت هذه الدعوى إلا ببينة ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعون يحببكم الله﴾ ال عمران -٣١-. فتأخر الخلق كلهم. وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه. فطولبوا بعدالة البينة، وقيل لا تقبل العدالة إلا بتزكية ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ المائدة ٥٤. فتأخر أكثر المدعين للمحبة. وقام المجاهدون فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فسلموا ما وقع عليه العقد، فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد التبايع يوجب التسليم من الجانبين.

الجهاد أهدافه وغايته

* صراع المؤمن ضد الكافر إنما هو لتحقيق (لاإله إلا لله). كما قال رسول الله ﷺ: (**أمرت أن اقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الاالله وان محمد رسول الله**) متفق عليه.

- وقال ﷺ: (**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبدالله وحده لا شريك له**) رواه أحمد عن ابن عمر. إذن الجهاد وسيلة لتحقيق التوحيد.

- عن أبي موسى بن عبدالله بن قيس الأشعري (ض) قال: **سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياءً، اي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ**:- (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العلياء فهو في سبيل الله**) متفق عليه.

- وفي لفظ للحديث: (**ويقاتل ليرى مكانه اي ذلك في سبيل لله؟ قال من قاتل لتكون كلمة لله هي العلياء فهو في سبيل الله**).

يقول الشيخ محمد صالح العثيمين:-

* وقوله: (**من قاتل لتكون**) في هذا إخلاص النية لله عز وجل. فقد سئل الرسول ﷺ عن الذي يقاتل على أحد وجوه الثلاثة: الشجاعة – وحمية – وليرى مكانه.

١- أما الذي يقاتل شجاعة: فمعناه أنه رجل شجاع يحب القتال لأن الرجل الشجاع متصف بالشجاعة، والشجاعة لابد لها من ميدان تظهر فيه فتجد الشجاع يحب أن لله بيسر له قتالاً ليقاتل ويظهر شجاعته. فهو يقاتل لأنه شجاع يحب القتال.

٢- يقاتل حمية: حمية على قومية، حمية على قبلية، حمية على الوطن، حمية لأي عصبية كانت.

٢- يقاتل ليرى مكانه: أي ليراه الناس ويعرفوا أنه شجاع.

* فعدل النبي ﷺ عن ذلك وقال كلمة موجزة ميزانا للقتال فقال: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العلياء فهو في سبيل الله**). وعدل النبي ﷺ عن ذكر هذه الثلاث ليكون أعم وأشمل، لأن الرجل ربما يقاتل من أجل الإستلاء على الأوطان والبلدان، يقاتل من أجل أن يحصل على امرأة يسبيها من هؤلاء القوم. المهم أن

النيات ما لها حد، لكن هذا الميزان الذي ذكره النبيﷺ ميزان تام عدل، ومن هنا نعلم أنه يجب أن تعدل اللهجة التي يتفوه بها اليوم كثير من الناس.

اللهجة لهجتان:-

* لهجة قوم يقاتلون للقومية: القومية العربية والقتال للقومية العربية قتال جاهلي، من قتل فيه فليس شهيداً، فقد الدنيا وخسر الأخرة، لأن ذلك ليس في سبيل الله.

* اللهجة الثانية: قوم يقاتلون للوطن، ونحن إذا قاتلنا من أجل الوطن لم يكن هناك فرق بيننا وبين الكفار، لأنه أيضاً يقاتل من أجل وطنه.

* ويقول... الواجب علينا أن نقاتل من أجل الإسلام في بلادنا... فنحمي الإسلام الذي في بلادنا سواء كان في أقصى الشرق أو الغرب

* فيجب أن تصحح هذه النقطة: فيقال نحن نقاتل من أجل الإسلام في وطننا أو من أجل وطننا لأنه إسلامي ندافع عن الإسلام الذي فيه.

* أما مجرد الوطنية فإنها نية باطلة لا تفيد الإسلام شيئاً، ولا فرق بين الإنسان الذي يقول إنه مسلم والإنسان الذي يقول إنه كافر إذا كان القتال من أجل الوطن، لأنه وطن.

* وما يذكر من أن (**حب الوطن من الإيمان**) وان ذلك حديث عن رسول اللهﷺ كذب قال الصنعاني موضوع.

* حب الوطن إن كان إسلامياً، فهذا نحبه لأنه إسلامي، ولا فرق بين وطنك الذي هو مسقط رأسك أو الوطن البعيد عن بلاد المسلمين كلها وطن إسلامي يجب أن نحميه. شرح رياض الصالحين/ من كلام سيد المرسلين/ الشيخ محمد بن صالح العثمين.

يقول سيد قطب رحمه الله في ظلال القرآن في قوله تعالى: ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، ومن يقاتل في سبيل الله، فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾ **النساء: ٧٤:**

- ﴿فليقاتل في سبيل الله﴾ فالاسلام لايعرف قتالا الا في هذا السبيل.

– لا يعرف القتال للغنيمة ولا يعرف القتال للسيطرة. ولا يعرف القتال للمجد الشخصي أو القومي.

– إنه لا يقاتل للاستلاء على الأرض، ولا للاستلاء على السكان...

– لا يقاتل ليجد الخامات للصناعات، والأسواق للمنتجات، أو لرؤوس الأموال يستثمرها في المستعمرات وشبه المستعمرات!

– إنه لا يقاتل لمجد شخص، ولا لمجد بيت، ولا لمجد طبقة ولا لمجد دولة، ولا لمجد أمة، ولا لمجد جنس.

– إنما يقاتل في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله في الأرض. ولتمكين منهجه من تصريف الحياة. ولتمتيع البشرية بخيرات هذا المنهج، وعدله المطلق بين الناس. مع ترك كل فرد حراً في إختيار العقيدة التي يقتنع بها.. في ظل هذا المنهج الرباني الإنساني العالمي...

✱ وحين يخرج المسلم ليقاتل في سبيل الله بقصد إعلاء كلمة الله وتمكين منهجه في الحياة ثم يقتل... يكون شهيداً وينال مقام الشهداء عند الله...

✱ وحين يخرج لأي هدف آخر غير هذا الهدف لا يسمى شهيداً ولا ينتظر أجره عند الله، بل عند صاحب الهدف الأخر الذي خرج له.... والذين يصفونه حينئذ بأنه (شهيد) يفترون على الكذب، ويزكون أنفسهم أو غيرهم بغير ما يزكي به الله الناس. افتراء على الله!.

– فليقاتل في سبيل الله –بهذا التحديد– من يريدون أن يبيعوا الدنيا ليشتروا بها الأخرة. ولهم –حينئذ– فضل من الله عظيم، في كلتا الحالتين: سواء من يقتل في سبيل الله، ومن يغلب في سبيل الله: ﴿ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب، فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾.

✱ ويقول: ....ثم لمسة نفسيه أخرى، لاستنهاض الهمم، واستجاشة العزائم، وإنارة الطريق، وتحديد القيم والغايات والأهداف التي يعمل لها كل فريق:

– ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ النساء:٧٦.

– وفي لمسة واحدة يقف الناس على مفرق الطريق.

– وفي لحظة ترتسم الأهداف، وتتضح الخطوط.

✱ وينقسم الناس إلى فريقين اثنين، تحت رايتين اثنتين، تحت رايتين متميزتين:

- ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله - والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾.

* ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ لتحقيق منهجه، واقرار شريعته واقامة عدله بين الناس، باسم الله – لا تحت أي عنوان آخر، اعترافاً بأن الله وحده هو الإله ومن ثم فهو الحاكم.

* ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ لتحقيق مناهج شتى غير منهج الله – واقرار شرائع شتى – غير شريعة الله – واقامة قيم شتى غير التي أذن بها الله – ونصب موازين شتى غير ميزان الله!

* ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله وحمايته ورعايته.

* ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بشتى راياتهم، وشتى مناهجهم، وشتى شرائعهم، وشتى طرائقهم، وشتى قيمهم، وشتى موازينهم... فكلهم أولياء الشيطان.

* ويأمر الله الذين آمنوا أن يقاتلوا أولياء الشيطان، ولا يخشوا مكرهم ولا مكر الشيطان: ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾.

* وهكذا يقف المسلمون على أرض صلبة مستندين ظهورهم إلى ركن شديد مقتنعي الوجدان:

– بأنهم يخوضون معركة لله.

– ليس لأنفسهم منها نصيب ولا لذواتهم منها حظ.

– وليس لقومهم ولا لجنسهم ولا لقرابتهم وعشيرتهم، منها شيء..

– إنما هي لله وحده، ولمنهجه وشريعته.

* وانهم يواجهون قوماً أهل باطل.

– يقاتلون لتغليب الباطل على الحق.

– لأنهم يقاتلون لتغليب مناهج البشر الجاهلية –وكل مناهج البشر جاهلية– على شريعة منهج الله.

– ولتغليب شرائع البشر الجاهلية –وكل شرائع البشر جاهلية– على الله.

– ولتغليب ظلم البشر –وكل حكم للبشر من دون الله ظلم– على عدل الله، الذين آمنوا مأمورون أن يحكموا به بين الناس.

* كذلك يخوضون المعركة، وهم موقنون أن الله وليهم فيها، وانهم يواجهون قوماً الشيطان وليهم، فهم إذن ضعاف... إن كيد الشيطان كان ضعيفا...(٠) في ظلال القرآن.

الجهاد فرض كفاية ويتعين في مواضع

قال ابن قدامة :

* معنى فرض كفاية الذي ان لم يقم به من يكفي اثم الناس كلهم، وإن قام به من يكفي، سقط عن سائر الناس.

* فالخطاب في إبتدائه يتناول الجميع كفرض الأعيان، ثم يختلفان في أن فرض الكفاية يسقط بفعل بعض الناس له، وفرض الأعيان لا يسقط عن أحد بفعل غيره.

* ثم قال في الدليل على أن الجهاد فرض على الكفاية:

– ولنا قول الله تعالى: ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى﴾ النساء:٩٥. وهذا يدل على أن القاعدين غير آثمين، مع جهاد غيرهم.

– وقال الله تعالى: ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ التوبة:١٢٢، ولأن رسول الله ﷺ كان يبعث السرايا ويقيم هو وسائر أصحابه.

* وقال ابن قدامة: ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع:

– إحداهما: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان. حرم على من حضر الإنصراف وتعين عليه المقام، لقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا﴾ الأنفال:٤٦.

– وقوله تعالى: ﴿واصبروا إن الله مع الصابرين﴾ الأنفال:٤٦.

– وقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله﴾ الأنفال:١٥-١٦.

– الثاني: إذا نزل الكفار ببلد، تعين قتالهم ودفعهم.

- الثالث: إذا استنفر الإمام بقوم لزمهم النفير معه، لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ التوبة:٣٨، والآية التي بعدها. وقال النبي ﷺ: (إذا استنفرتم فانفروا).

شروط وجوب الجهاد

* شروط وجوب الجهاد وهي تسعة في فرض الكفاية:

- (الاسلام - والبلوغ - والعقل - والحرية - والذكورية - والسلامة من الضرر - ووجود النفقة - وإذن الوالدين - وإذن الغريم الدائن).

* أما في فرض العين فهي خمسة فقط: (الاسلام - البلوغ - العقل - السلامة من الضرر - وجود النفقة).

- ويسقط كذلك شروط وجوب النفقة وتصير الشروط أربعة فقط إذا داهم العدو بلاد المسلمين ولم يكن هناك خروج إليه. وقد قرر هذا فقهاء المذاهب المشهورة، فمن الأحناف قال علاء الدين الكاساني: (فأما إذا عم النفير بأن هجم العدو على بلد، فهو فرض عين، يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه لقوله سبحانه وتعالى ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ فيخرج العبد بغير إذن مولاه والمرأة بغير إذن زوجها، وكذا يباح للولد أن يخرج بغير إذن والديه.

يقول الشيخ عبدالقادر عبدالعزيز:

* وما ذكره السادة الفقهاء من وجوب الجهاد العيني على المرأة فيه نظر، وقد يظن البعض أن هذه المسألة أجمع عليه العلماء، أو هي قول جمهور الفقهاء وليس الأمر كذلك.

- روى البخاري في كتاب الجهاد في صحيحه (باب جهاد النساء) عن عائشة (**استئذنت النبي في الجهاد، فقال جهادكن الحج**) قال ابن حجر (وقال ابن بطال: دل حديث عائشة على أن الجهاد غير واجب على النساء، ولكن ليس في قوله (**جهادكن الحج**) أنه ليس لهن أن يتطوعن بالجهاد. فتح الباري.

- وفي رواية أحمد بن حنبل - عن عائشة قالت (**قلت يا رسول الله هل على النساء جهاد؟ قال جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة**) صححه الألباني.

* فهذا الحديث بين أن المرأة غير مخاطبة بالجهاد بدون تفريق بين ما هو فرض كفاية وما هو فرض عين، وكذلك لم يفرق الشراح (ابن حجر وابن بطال) بين الفرضين في حق النساء.

– وقد كان الجهاد يتعين كثيرا على عهد النبي ﷺ ولم ترد إلينا نص ولو ضعيف في أن النبي ﷺ أمر النساء بالقتال حتى نعتبر هذا النص مخصصا لحديث عائشة السابق. ومن ذلك غزوة تبوك لم يستنفر النبي ﷺ قوما دون قوم بل كان النفير عاما بدلالة قوله تعالى في شأن هذه الغزاة ﴿يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ التوبة. ومعلوم أن الخطاب بـ﴿يأيها الذين آمنوا﴾ يشمل الرجال والنساء، إلا أن النساء لم يخرجن في هذه الغزوة بدليل قول علي بن أبي طالب: لما استخلفه النبي على المدينة في هذه الغزوة – قال علي (**اتخلفني في الصبيان والنساء**) رواه البخاري. وهذا يدل على أن النفير العام لا يشمل النساء، وبالتالي يبقى حديث عائشة السابق على عمومه دون تخصيص.

* وأيضا من المواضع التي يتعين فيها الجهاد، إذا نزل الكفار ببلد تعين على أهله قتالهم ودفعهم، وهذا حدث على عهد النبي ﷺ في غزوة الخندق قال تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم﴾ الأحزاب. ولم تخرج النساء للقتال في هذه الغزوة بل جعلهن في الأطام والحصون (سيرة ابن الهشام).

ويقول الشيخ عبدالقادر عبدالعزيز بعد نقل أقوال بعض الفقهاء:

* ولهذا أقول إن الجهاد لا يجب على المرأة في كل مواضع الجهاد العيني. وقد يجب في حالة واحدة وهي إذا ما دهم العدو بلدا وخلص إلى البيوت وإلى النساء، فللمرأة أن تقاتله دفاعا عن نفسها وعمن معها.

– وقد روى مسلم عن أنس قال (**ان أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرا فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر. فقال رسول الله (ص) ما هذا؟ قالت اتخذته إن دنا مني احد من المشركين بقرت به بطنه، فجعل رسول الله (ص) يضحك**) الحديث. ومع القول بعدم وجوب الجهاد على المرأة – إلا في حالة معينة، إلا أنه يجوز لها أن تخرج متطوعة في الغزو بإذن الأمير.

– فقد روي مسلم عن أنس قال: (**كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، ويداوين الجرحى**) وروي مسلم مثله عن ابن عباس.

* وقيده الفقهاء بالمرأة الكبيرة ومنعوا الشابة والجميلة، قال ابن قدامة (قال الخرقي: ولا يدخل مع المسلمين من النساء إلى ارض العدو إلا الطاعنة في السن، لسقي الماء ومعالجة الجرحى، كما فعل النبي ﷺ).

الجهاد نوعان: جهاد الطلب وجهاد الدفع

جهاد الطلب هو أن تطلب العدو وتغزوه في داره.

وجهاد الدفع هو قتال العدو البادىء بقتال المسلمين. الاختيارات الفقهية لابن تيمية.

ودليل جهاد الطلب:

- قوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ التوبة.

- وقال تعالى: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ التوبة.

- فأمر الحق جل وعلا بالخروج لقتالهم وترصدهم وحصارهم، وهذه الآيات محكمات من أواخر ما نزل ولا ناسخ لها وعليها سار النبي ﷺ والصحابة معه ومن بعده حتى فتح لله تعالى عليهم مشارق الارض ومغاربها.

- وقال رسول الله ﷺ: (**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى**) متفق عليه عن ابن عمر.

- وفي حديث بريدة الذي رواه مسلم: (**أن رسول الله ﷺ كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: اغزوا بسم الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال...**) الحديث.

- وهذه نصوص واضحة صريحة في الخروج لقتال العدو وقصده في داره وهذا هو جهاد الطلب.

أما جهاد الدفع فدليله :

- قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار﴾ الأنفال.

- وقول الله تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ البقرة. فهنا القتال لرد عدوان العدو الذي بدأ بالقتال.

قال شيخ الإسلام إبن تيمية رحمه الله :-

* (وأما قتال الدفع، فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، فواجب إجماعاً.

* فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا، لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط، بل يدفع بحسب الإمكان). الإختيارات الفقهية لإبن تيمية.

قال الشيخ عبدالقادر عبدالعزيز :

* مما سبق تعلم أن من أنكر كون جهاد الطلب من الإسلام، كالذين يقولون إن الإسلام لا يقاتل إلا للدفاع ورد العدوان، فهو مكذب بالآيات والأحاديث السابقة ونحوها، وقال تعالى: ﴿وما يجحد بآياتنا إلا القوم الكافرون﴾ العنكبوت.

* ومن تعسف في تأويل ما وقع لسلفنا الصالح من جهاد الطلب وقال إنه كان لرد العدوان فقد ضل ضلالاً بعيداً إن كان لا يجهل هذه النصوص أو أحيط بها علما فأعرض عنها، وتعسف في تأويلها.

* ولا غرابة في أن يخطيء المستشرقون في فهم معنى الجهاد، كما أنه لا غرابة في مغالطاتهم.

* ولكن العجب كل العجب من هؤلاء المسلمين الذين قلدوهم، وفهموا الإسلام بفهمهم. ونظروا إليه بنظرتهم.

* وكتبوا وما زالوا يكتبون في أن الجهاد دفاعي وليس إبتدائياً، وأعجب من ذلك كله أنهم يستدلون على فكرتهم هذه، ببعض آيات القرآنية، ويحملونها ما لا تحتمله.

ولقد أصاب الشيخ سيد قطب رحمه الله حيث قال فيهم :-

* والذين يسوقون النصوص القرآنية للاستشهاد بها على منهج هذا الدين في الجهاد ولا يراعون هذه السمة فيه –يعني المراحل التي مر عليها الجهاد– ولا يدركون طبيعة المراحل التي مر بها هذا المنهج، وعلاقة النصوص

المختلفة بكل مرحلة...

* الذين يصنعون هذا ليخلطون خلطاً شديداً، ويلبسوا منهج هذا الدين، لبساً مضللاً، ويحملون النصوص ما لا حمله من المبادئ والقواعد النهائية، ذلك أنهم يعتبرون كل نص منها كما لو كان نصاً نهائياً، يمثل القواعد النهائية في هذا الدين.

* ويقولون – وهم منهزمون روحياً وعقلياً تحت ضغط الواقع البائس، لذرار المسلمين الذين لم يبقى لهم من الإسلام إلا العنوان:– إن الإسلام لا يجاهد إلا للدفاع، ويحسبون أنهم يسدون إلى هذا الدين جميلاً بتخليه عن منهجه.

وجوب العمل على خلع الحكام الحاليين و إقامة الحكم الإسلامي على أنقاض حكوماتهم

* تتفق العلماء سلفاً وخلفاً على وجوب نصب الإمام المسلم في بلاد المسلمين ليقوم بتنفيذ الأحكام وفق أحكام الشريعة الإسلامية فالقرآن الكريم يقول:- ﴿يأيها الذين امنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ فنص على أن الطاعة لله ولرسوله ولأولي الأمر وحدد (منكم) أي من المسلمين المؤمنين بشرع الله ورسالة نبيه محمدﷺ، وكيف يكون الطاعة لأولي الأمر إن لم يكن موجوداً فوجب إذن تنصيبه ثم طاعته.

- يقولﷺ: (**لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا امروا عليهم احدهم**).
- ويقول: (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا احدهم**).
- ومدلول هذين الحديثين أنه يشرع لكل عدد يبلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا عليهم أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي قد يؤدي الى التفرق إذا استبد كل منهم برأيه.
- وإذا شرع هذا في فلاة من الأرض أو مسافرين فشريعته أولى لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع الظلم والفصل في الخصومات. (نيل الأوطار للشوكاني).

* أجمع المسلمون وأصحاب الرسولﷺ خاصة وهم أدرى الناس بإتجاهات الإسلام على أن يقيموا على رأس الدولة من يخلف الرسولﷺ. وما إن تحقق أبو بكر من وفاة الرسول حتى خرج على الناس يقول لهم إن محمداً قد مات ولابد للدين ممن يقوم به. فترك الصحابة تجهيز النبي ولم يدفنوه حتى أقاموا أبو بكر خليفة له، والإجماع مصدر من المصادر الشريعة يلزم المسلمين كما يلزم النص.

يقول إبن خلدون في مقدمته :-

- إن نصب الإمام واجب وقد عرف وجوبه في الشرع بإجماع الصحابة والتابعين لهم.
- وأصحاب رسول اللهﷺ عند وفاته بادروا الى بيعة أبي بكرﷺ وتسليم النظر إليه في أمورهم.
- وكذا في كل عصر من بعد ذلك، ولم يترك الناس فوضى في عصر من عصور، واستقر على ذلك إجماعاً دالاً على وجوب نصب الإمام.

يقول الماوردي في الأحكام السلطانية : عقد الإمامة لمن يقوم بها واجب بالإجماع.

يقول ابن تيمية في كتاب السياسة الشرعية :

* يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا يقام الدين إلا بها.

* فإن بني أدم لا تتم مصلحتهم إلا بإجتماع لحاجة بعضهم لبعض ولابد لهذا الإجتماع من رأس حتى قال النبيﷺ: (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**). وجاء في مسند أحمد أن النبيﷺ قال: (**لا يحل لثلاثة أن يكونوا بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم**).

* فأوجبﷺ تأمير الواحد في الإجتماع القليل العارض في السفر تنبيهاً بذلك على سائر أنواع الإجتماع.

شروط الحاكم أو الإمام المسلم

إتفاق العلماء على شروط أساسية للأمامة في الإسلام وهذه الشروط هي:-

- الإسلام: يشترط في الإمام أن يكون مسلماً حيث قال تعالى: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ وهذا التحريم عام والحكم من الولاية بل من أهمها.

- الذكورة: لا يحل الإسلام أن تتولى أمور المسلمين إمرأة حيث قالﷺ: (**لن يفلح قوم اسندوا أمرهم الى إمرأة**).

- التكليف: يشترط أن يكون الإمام بالغاً عاقلاً فلا تجوز إمامة الصبي ولا المجنون.

- العلم: يشترط فيه أن يكون عالماً بأحكام الإسلام حتى يقوم بتنفيذها. وقد ذهب بعضهم لإشتراط وصوله مرتبة الإجتهاد.

- العدل: يشترط فيه ان يكون عدلاً لأنه يتولى منصباً يشرف فيه على أمور الأمة ويفصل فيها.

- الكفاية: يشترط فيه أن يكون كفؤا لما أسند إليه قادراً على توجيه الأدارة والسياسة.

* نستنتج أن إمامة المسلم العادل العالم الكفؤ واجب في الإسلام

* ولما كان الأمر الذي لا يتم الواجب إلا به واجباً فإنه حتى نتمكن من تنصيب إمام مسلم عالم عادل كفؤ لابد من خلع من آل إليهم الحكم زوراً وبهتاناً وقام الدليل الشرعي والعملي على ردتهم وكفرهم. بل وخلع من قام الدليل بالحجة على فسقهم وإنحرافهم ومجاهرتهم بذلك وإفتقارهم للشروط المذكورة فضلاً عن ثبوت خيانتهم لله ورسوله والمؤمنين، وموالاتهم لأعداء الله (كما مر معنا سابقاً).

* هذا كله حق وواجب على المسلمين أن يعملوا ليل نهار من اجله والخروج على الحكام الكفرة الذين لا يحكمون بما أنزل الله وتنصيب إمام مسلم واجب على المسلمين الإعداد لأجله.

الخروج على الحاكم في الإسلام

* فما موقع حكامنا اليوم يا ترى من هذا الأمر وما مدى وجوب عزلهم والخروج عليهم. يقول تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول﴾ النساء:٥٩. وبين العلماء أن معنى هذا الرد هو الرد الى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

يقول د. عبدالله النفيسي في كتابه (عندما يحكم الإسلام) تحت عنوان (الإسلام والخروج على الحاكم):

* تدور هذه الأيام حوارات ساخنة في الأوساط الإسلامية حول مدى شرعية الخروج على الحكام في عصرنا هذا.

* بعض الذين يتصدرون للعمل الإسلامي نلاحظ عليهم حماس مضاد لكل فكرة تؤيد الخروج على الحكام وأكثر من ذلك فهم قد غلوا في موقفهم واتهموا كل من لا يرى رأيهم بالغباء وقلة الفقه والخروج على الملة في كتابات لبعضهم.

* ونحن نصحهم والدين النصيحة بالإبتعاد عن هذا الغلو ونطالبهم كأخوة في الله أن يتقوا الله ويحذروه وألا يحسنوا الظن كثيراً بأنفسهم ويسيؤوا الظن كثيراً بإيمان غيرهم، وإذا اختلفنا في هذه القضية فليكن الخلاف رفيعاً.

* ونحن نقف في هذه القضية مع الذين يقولون بالخروج على الأنظمة الحاكمة في أرض الإسلام اليوم ونقف هذا الموقف إستناداً الى دليلين: ١-الدليل الشرعي ٢- الدليل العقلي.

الدليل الشرعي:-

* يقول جل قائل في كتابه الكريم:

- ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ المائدة:٤٤.
- ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ المائدة:٤٩.
- ﴿فاحكم بينهم بما انزل الله﴾ المائدة:٤٩.

- ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ النساء:٦٥.
- ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها﴾ الجاثية.
- ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾ المائدة:٤٩.
- ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ النساء:١٥.
- ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما﴾المائدة:٥٠.

- وعن عبادة بن صامت (ض) قال: قال رسول الله ﷺ:- **(سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فمن ادرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله عز وجل)** رواه الحاكم والطبراني وهو صحيح.

- وعن عبدالله بن مسعود (ض) قال: قال رسول الله ﷺ **(سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ويحدثون البدع) قلت فكيف أصنع... قال:- (تسألني يا ابن اعبد كيف تصنع ... لا طاعة لمن عصى الله) رواه الطبراني في الكبير وحديث صحيح**

- وعن أبي سعيد الخدري وأبو هريرة (ض) قالا: قال رسول الله ﷺ:- **(ليأتين عليكم امراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فمن ادرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً وشرطياً وجابياً ولا خازناً)** رواه ابن ماجه وسنده صحيح.

- وعن أبي سعيد الخدري (ض) قال: **قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً. فكان من خطبته انه قال:- (الا اني اوشك ان ادعى فأجيب فيليكم عمال من بعدي يقولون ما يعملون ويعملون بما يعرفون، وطاعة اولئك طاعة، فتلبثون دهراً ثم يليكم عمال من بعدهم يقولون ما لا يعلمون ويعملون بما لا يعرفون فمن ناصحهم ووازرهم وشد على اعضادهم، فأولئك قد هلكوا وأهلكوا، خالطوهم بأجسادهم وزايلوهم بأعمالكم واشهدوا على المحسن بأنه محسن وعلى المسئ بأنه مسئ)** رواه الطبراني والبيهقي في الزهد الكبير وهو حديث صحيح.

ثم يتحدث الدكتور النفيسي عن هذه النصوص، وفهم الأئمة لها فيقول:

* بأن اجتهادات الأئمة حولها إنما بنيت على أساس أنها -أي النصوص- إنما جاءت لتخاطب الواقع المسلم آنذاك، وأن الحكام الذين كانوا يعاصرون الأئمة كانوا يحكمون بما أنزل الله.

* ويضيف الدكتور النفيسي:- فلم يكن يتصور الفقهاء أيامها وجود حاكم لا يحكم بما أنزل الله بالصورة الكلية والشمولية التي نعيشها اليوم.

* لم يكن يتصور الفقهاء وجود حاكم يتنكر لشرع الله ويتآمر على الإسلام وينكل بالمسلمين، ويوالي أعداء الله كما هو حال حكام اليوم.

يقول ابن كثير في تفسيرقوله تعالى ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾:

* (ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير الناهي عن كل شر، وعدل الى ما سواه من الأراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من الشريعة، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع الى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في كثير ولا قليل).

ويعلق الشيخ عبدالعزيز بن باز على كلام ابن كثير في كتاب فتح المجيد فيقول:

* (ومثل هذا وشر منه كل من اتخذ كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها حتى يرجع الى حكم بما أنزل الله ولا ينفعه أي اسم تسمى به ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية لما سئل عن قتال التتار مع تمسكهم بالشهادتين ولما زعموا اتباع أصل الإسلام:-

* كل طائفة ممتنعة عن الالتزام بشرائع الإسلام الظاهرة من هؤلاء القوم او غيرهم فإنه يجب قتالهم حتى يلتزموا شرائعه وان كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعض شرائعه كالصلاة، كما قاتل أبوبكر والصحابة مانعي الزكاة).

* وعلى هذا اتفق الفقهاء بعدهم فأيما طائفة امتنعت عن الصلوات المفروضات أو الصيام أو الحج او عن التزام جهاد الكفار أو غيرهم ذلك من التزام واجبات الدين ومحرماته التي لا عذر لأحد في جحودها أو تركها والتي يكفر الواحد بجحودها فإن الطائفة الممتنعة تقاتل عليها وإن كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء، وهؤلاء عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام).

* وهكذا نرى أنه ليس هناك أي تناقض بين آراء العلماء حول مسألة الخروج على النظام الحكم، وأعراضه عن شرع الله فالكل مجمع على ذلك كما نقل عن ابن تيمية هذا الإجماع و أشار إليه عندما قال: (وهذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء).

* هناك بعض الناس يسيؤون فهم بعض الأحاديث لرسول الله ﷺ فمثلاً قوله ﷺ **(من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم دمه وحسابه على الله عز وجل)**.

قال القاضي عياض حول ذلك:

* (اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا لله تعبيراً عن الإجابة الى الإيمان، وان المراد بذلك مشركوا العرب وأهل الأوثان فأما غيرهم فمن يقر بالتوحيد فلا يكفي في عصمة، قول لا إله إلا لله إذا كان يقولها في كفره...).

* وقد أجمع العلماء على ان من قال لا إله إلا لله ولم يعتقد معناها أو اعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها، يجب أن يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات يقول رسول الله ﷺ **(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهد أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)**.

قال النووي في تعليقه على الحديث:-

* (ففيه وجوب قتال مانعي الزكاة والصلاة أو غيرها من واجبات الإسلام قليلها أو كثيرها).

ويقول ابن تيمية :-

* (اختلف العلماء في الطائفة الممتنعة إذا أصرت على ترك بعض السنة كركعتي الفجر أو الأذان أو إقامة عند من لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر، فهل نقاتل الطائفة الممتنعة على تركها أم لا... أما الواجبات أو المحرمات

المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها وثبت عن نبي ﷺ من عشرة أوجه الحديث عن الخوارج والأمر بقتالهم والأخبر أنهم شر الخلق والخليقة مع قوله: تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم.

* فيعلم أن مجرد الاعتصام بالإسلام مع عدم التزام شرائعه ليس بمسقط للقتال فالقتال واجب حتى يكون الدين كله لله، فمتى كان الدين لغير الله فالقتال واجب).

* والذين يرون عدم الخروج على الأنظمة الحاكمة اليوم يستدلون خطأً ببعض الأحاديث لرسول الله ﷺ، فمثلاً هناك حديث يقول: (من رأى من اميره شيئاً يكره فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرا مات ميتة جاهلية). هذا الحديث يطرح امامنا عدة أسئلة:-

من هو الأمير المقصود في الحديث...

ما هو نوعية الكره...

ما هي حدود الصبر...

وأي جماعة تلك المقصودة في الحديث، أهي الجماعة الكبرى او الصغرى...

* من البديهي الامير الذي ذكره الحديث هو الأمير المسلم فهذا هو المعني الذي يتمشى مع طبيعة الشرع. ومن ثم يجب على المسلم ان يطيعه لأنه -أي الأمير- متقيد بالشرع خاضع لأمره.

* لكن قد يرى المسلم منه بعض ما يكره من السلوكيات الخاطئة من مثل الامراء الأمويين والعباسين، لكن هذا ليس مبرراً شرعياً للخروج عليه.

* ومن هنا فالصبر المعنى بالحديث هو وسيلة لمحاصرة هذا الكره الذي ذكرنا مواصفاته، الكره الذي لا تتجاوز حدود الفرد الى حدود الجماعة، وعلى ضوء هذا الفهم يتبين لنا خطأ الذين يحاولون تطبيق هذا الحديث على الأنظمة الحاكمة اليوم.

* إن محاولة تطبيق الحديث على حكام اليوم هي محاولة لدعم الباطل على حساب الإسلام، فحكام اليوم وأنظمة هذا العالم المترامي المسمى مجازاً بالإسلامي، لم يصلوا الى الحكم بالطريق الشرعي -البيعة- بل فرضوا أنفسهم بالحديد والنار، ودعم القوى الكافرة المتربصة بالإسلام ودعاته الحقيقين.

* ومن هنا ينقطع الطريق أمام دعاة الضلالة الذين يحاولون ترقيع الجاهلية بأحكام الإسلام وإلباس هذه الأنظمة الكافرة ثوب الأمامة العادلة.

* لقد استحلت هذه الأنظمة ما حرم الله في كل قرار تصدره وفي كل خطوة تخطوها، فهي كما نلاحظ لا تقوم على بيعة وقد عطلت الأمة الشورى ومراجعة الحكام وتسديده وترشيده وعزله.

* وأخذت تتوسع في إباحة المحظورات الشرعية بل تيسير السبل والوسائل كي تنتشر هذه المحظورات ونـ.و، الواقع.

* والاستحلال كفر بإجماع الأمة لا يخالف في ذلك أحد، وبالإضافة الى ذلك استباحت دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم.

* فهل هناك براهين على الكفر الصريح أكثر من ذلك.

- إن حكام اليوم كفروا بما أنزل الله وأعرضوا عنه مهما لبسوا من أزياء الإسلام.

- وهم يؤيدون أعداء الله وينصرونهم على جماهير الإسلام والمسلمين.

- وينشرون الفساد في الأرض، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط والعدل بين الناس.

الدليل العقلي:-

* إن المتأمل في واقع هذه الأنظمة الحاكمة في أرض الإسلام اليوم تتكشف له حقيقة هامة وهي:

- أن هذه الأنظمة لم تتسلم زمام الأمور في بلاد المسلمين إعتباطاً.

- هذه الأنظمة هي إمتداد طبيعي للاستعمار الغربي الكافر.

* وإن كان من الواجب الشرعي علينا أن نقاتل القوى الإستعمارية الغربية الكافرة حتى يكون الدين لله، فمن البديهي أن نقاتل هذه الأنظمة التي تعتبر الجبهة الأمامية للقوى الغربية الإستعمارية الكافرة.

الحل الجهادي

* ليست هناك فريضة من فرائض الإسلام نالت ما نالته فريضة الجهاد من التشويه والطعن والمحاربة من قبل أعداء الله من اليهود والصلبين والملحدين والمنافقين... الى أن تمكن أعداء الله من تشويهه حتى في نفوس أهله...

* فبدأ كثير من المسلمين بل وكثير من الدعاة التبرؤ من الجهاد الحقيقي، والخروج بمزاعم سلمية وتعاريف تائهة للجهاد، وحمله على الدعوة والبيان، وأنه شرع للدفاع فقط في حال الإعتداء على المسلمين.
فما هي حقيقة الجهاد وما هي أهدافه؟؟...

يقول الشيخ المودودي رحمه الله تحت عنوان (حقيقة الجهاد):-

* إن الإسلام فكرة إنقلابية ومنهاج إنقلابي، يريد ان يهدم نظام العالم الإجتماعي بأسره ويأتي بنيانه من القواعد، ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكره ومنهاجه العملي.

* والجهاد هي عبارة عن الكفاح الإنقلابي عن تلك الحركة الدائبة المستمرة، التي يقام بها للوصول الى هذه الغاية وأدراك هذا المبتغى.

* فكل حكومة مؤسسة على فكرة غير هذه الفكرة ومنهاج غير هذا المنهاج، يقاومها الإسلام، ويريد أن يقضي عليها قضاءً مبرماً ولا يعنيه في شيء بهذا الصدد أمر البلاد التي قامت فيها تلك الحكومة غير المرضية، أو الأمة التي ينتمي إليها القائمون بأمرها.

* فإن غايته استعلاء فكرته وتتميم منهاجه وإقامة الحكومات وتوطيد دعائمها، على أساس هذه الفكرة وهذا المنهاج بصرف النظر عمن يحمل لواء الحق والعدل بيده، ومن تنتكس بذلك راية عدوانه وفساده.

وتحت عنوان في سبيل الله يقول:-

* لكن الجهاد الإسلامي ليس بجهاد لا غاية له وإنما هو الجهاد في سبيل الله، وقد لزمه هذا الشرط لا ينفك عنه أبداً.

* فكل عمل يقوم به للمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاء لمرضاة الله، لا يريد به مغنماً أو مكسباً في الحياة العاجلة فهو في سبيل الله في نظر الاسلام. فما قيد الشارع الجهاد بهذا الشرط إلا لدلالة على هذا المعنى:-

* فالذي يتطلبه الإسلام أنه إذا قام رجل أو جماعة من المسلمين تبذل جهودها، وتستنفذ مساعيها للقضاء على النظم البالية الباطلة، وتكوين نظام جديد حسب الفكرة الإسلامية.

* فعليها أن تكون مجردة من كل غرض، مبرأة من كل هوى أو نزعة شخصية لا تقصد من وراء جهودها وما ... في سبيل غايتها من النفوس والنفائس إلا تأسيس نظام عادل يقوم بالقسط والحق بين الناس.

* ولا يكون من هم الإنسان خلال هذا الكفاح المستمر والجهاد المتواصل لأعلاء كلمة الله أن ينال جاهاً وشرفاً أو سمعة وحسن أحدوثة.

* ولا يخطر بباله أثناء هذه الجهود البالغة والمساعي الغالية، أن يسمو بنفسه وعشيرته، ويستبد بزمام الأمر، ويتبوأ منصب الطواغيت الفجرة.

* فتبين من ذلك أن لا يقبل من الجهاد إلا ما كان خالصاً لوجه الكريم وابتغاء مرضاته، لا يشو به شيء من الأغراض النفسية أو الطائفية والقومية، ومن هنا تعرف ما لهذا الشرط –في سبيل الله– من أهمية عظيمة.

* وبعد أن يتكلم المودودي عن حزب الله والحزب الإسلامي: وهو جماعة المسلمين المؤمنين بتلك الأفكار والمبادئ والعمل لها، يتكلم عن أهداف هذا الحزب والغاية التي شرع الجهاد لها يقول:-

* فتبين من كل ذلك أن هذا الحزب لا بد له من أمتلاك ناصية الأمر ولا مندوحة له عن القبض على زمام الحكم لأن نظام العمران الفاسد لا يقوم إلا على أساس حكومة مؤسسة على قواعد العدوان و الفساد في الأرض.

* وكذلك ليس من الممكن أن يقوم نظام للحكم صالح يؤتي أكله، إلا بعد ما ينتزع زمام الأمر من أيدي الطغاة المفسدين، ويأخذه بأيديهم رجال يؤمنون بالله واليوم الأخر، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.

* فهذا كله حق ولكن هناك عدة أسئلة تطرح حول كيفية الخروج وقتال الطواغيت؟ وهي:

- أليس أحد شروط الخروج والقتال وجود القيادة الحكيمة والمنهج والتخطيط؟
- هل الخروج بالفوضى والتصرف الفردي اللامسؤول؟
- هل إستعجال القتال قبل مقدماته الضرورية؟
- هل نخرج ونقاتل إذا كان الخروج فوق استطاعتنا؟
- هل نخرج ونجاهد بدون دراسة رفع المفاسد وجلب المصالح؟
- هل نقاتل حماسة واندفاعاً وتهوراً؟

* إذا قلنا (أخذاً من النصوص) لا تقلد دينك الرجال وأعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال، وكل يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم ﷺ.

* وإذا قلنا أن الولاء للمبادئ و التعلق بالأفكار وليس بالأشخاص لأن الولاءات الشخصية والتعلق بالزعامات سمة من سمات التشيع الذي لا يتلاءم مع المبادئ الإسلامية.

* فهذا كله حق، ولكن إذا فهم من هذا أن الحركة الأسلامية لا يتعين أن يكون لها إطار من المبادئ والمفاهيم يحدده المجتهدون من تطبيق الكتاب والسنة على الواقع، فسوف تتبددالحركة سداً وتمزقها الجهالات والخلافات.

* إذن يجب أن تكون لأي عمل جماعي عدة مقومات أساسية، حتى يكون خطواتهم على مستوى المسؤولية والتوازن وهذه المقومات هي- :

١) وجود منهج وفكر يلتقي عليه هذا التجمع.

٢) وجود قيادة (الأمير وشورى).

٣) وجود أموال تغطي هذا العمل/ مصدر مالي شريف.

٤) وجود مخطط لهذا العمل/ أي وضع برنامج للعمل الجماعي.

٥) وجود السمع والطاعة تربط الجنود بهذه القيادة.

* عدم وجود أي مقوم من هذه المقومات تجعل العمل فوضى وتذ هب الطاقات سدىً وتكون النتائج مؤلمة وغير مرضية .

* شرعية الجهاد لا يستلزم منه أن يقوم كل فرد من الأمة بواجب الجهاد بطريقته الفردية وبالأسلوب الذي يهواه.

* القول بالجهاد في سبيل الله... لا ينبغي أن يفهم منه الفوضى والتصرف الفردي اللامسؤول، أو استعجال القتال قبل مقدماته الضرورية، فمن تعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه.

* من لوازم الجهاد وشروطه، إعداد القوة اللازمة للقيام بواجب الجهاد وهذه مهمة جماعية – تتظافر على تحقيقه جميع الطاقات والأمكانيات الخبرة، يصعب على الفرد بنفسه أو مجموعة أفراد القيام بها. لذا جاء الأمر بالأعداد بصيغة الجمع من دون أن يستثنى أحد أفراد الأمة كما قال تعالى:- ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ الأنفال٦٠.

* الجهاد في سبيل الله كبقية العبادات يشترط له الأستطاعة، فإذا انتفت الأستطاعة وتحقق العجز رفع التكليف لأن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

* شرع الجهاد في سبيل الله لدفع المفاسد، وجلب المصالح وأعظم المفاسد الشرك وأنفع المصالح وأفضلها التوحيد. ومتى يكون الأمر على خلاف ذلك، لا يشرع الجهاد، وهو كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يجب تقدير المصالح والمفاسد وفق ميزان الشرع عند الإقدام او الإحجام.

* فالأعمال الجهادية في الأسلام ليست أعمالاً إنتحارية بحتة وإنما يجب أن تحقق مصلحة وأن تفضى الى غاية، والا تقابل بمفسدة راجحة.

* والمصلحة المستهدفة من الجهاد وهي مصلحة إظهار الدين وكف بأس الكافرين والدفع عن المستظعفين من المسلمين.

- قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ الأنفال:٩.

- وقال تعالى: ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ النساء:٨٤.

- (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) متفق عليه.

وعناصر تحقيق المصلحة متعدد منها:-

- توقع الظفر
- تامين الذراري والضعفاء حتى لا تبطش بهم الخصوم نكاية بالمجاهدين
- سلامة التوقيت زماناً ومكاناً حتى يؤدي العمل بقدر ممكن من الخسائر المتوقعة.
- مدى القدرة على توظيف هذا الحدث في العمل الأسلامي، والتعريف بقضيته وإكتساب أنصار جدد.
- يجب أن يتم كل هذا وفق حسابات دقيقة، يقوم بها فريق من الخبراء ممن تجاوزوا الأندفاع التلقائي والحركة والعناء، مع فريق من أهل الفقه والأصول ممن تمرسوا في فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، وجمعوا بين الدراية بالشرع والمعرفة بالواقع وذلك حتى يقدم العمل الأسلامي في هذا المجال أداءً متميزاً يصلح بذاتها أن يكون مادة للدعوة الى الإسلام والى الجهاد.

وهذه بعض الملاحظات المهمة:-

- أنه لا يجوز للعمل الجهادي أن يقدم على عمل، لمجرد أنه يريد أن يجد لأتباعه مجالاً من مجالات الجهاد، أو لأنه أحرج أمامهم لطول الترقب والأنتظار، أو أن يغفل حساب المصلحة تعلقاً بمعجزات تتنزل عليه من السماء، وتأويلاً فاسداً لما ورد من النصوص في باب التوكل على الله. وجماع القول في ذلك:-

* أن العمل الجهادي عندما يكون في مقام اتخاذ الأسباب وحساب نتائج متوقعة، يجب أن يكون في أدائه لهذا العمل بشراً من بشر يزن بموازين البشر، ويتعامل في حدود السنة المعهودة في حياة البشر.

* ولا ينبغي له أن يقدم على عمل من الأعمال، يحتوى على عدد من الثغرات وجوانب الضعف، تعلقاً بمعجزات تتنزل عليه من السماء، إذاً فهو يجب يتعامل مع السنن والأسباب.

* وعندما يكون في مقام التوكل على الله، والتماس النصر من عنده يجب أن تنمحي من حسه هذه الأسباب وأن يتطرق باب ربه بكامل الشعور بالعجز والأفلاس والأفتقار، وكأنه لم يأت من الأسباب بشئ.

* وبهذا يجمع بين عبودية السعي وعبودية التوكل ولا يعطل إحداهما لحساب أخرى.

وملاحظة أخرى مهمة أيظاً وهي: (عدم الأضرار بالأمّة)

- فالمعركة مع العلمانية التي تجتال الناس على دينهم، وتحمل الأمة على التحاكم في الدماء والأموال والأعراض الى غير ما أنزل الله. وليس مع الأمة التي ما تزال في الجملة على الأسلام ويقع على كثير منها من المظالم وتتطلع ليوم الخلاص. ولهذا لابد من التفريق في هذه الأعمال بين النظام وبين الأمة، وحصر دائرة الصراع مع الأنظمة العلمانية فحسب.

- والحذر كل الحذر من أن تمتد دائرة الصراع لتشمل فريقاً من الأمة أو أن يفضى الى مساس بمصالحها البحتة، تمس أقوات الناس وأرزاقهم و مرافقهم الحيوية. فإن هذا يهيج العامة ضد العمل الإسلامي ويعطي الطواغيت الفرصة لإستنفارهم ضد الحركة الإسلامية.

المقصد الأصلي للجهاد هو إضهار الدين لا الشهادة

- الشهادة ليست مقصودة لذاتها -إلا في مواطن سيأتي ذكرها- بل لأظهار الدين لا بأس بتمني الشهادة والتعرض لها بالتغرير بالنفس في القتال على ألا تكون الشهادة هي المقصد الأول من هذا التغرير.

- بل يكون المقصد الأول هو إظهار الدين، وبمعنى اخر لا ينبغي للمسلم أن يقتحم القتال لمجرد الشهادة دون النظر الى ما يوقعه بالعدو من نكاية و الدليل على هذا:-

- قول النبيﷺ: (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العلياء فهو في سبيل الله**) متفق عليه.

- فجعلﷺ المقصود من الجهاد هو إعلاء كلمة الله لا الشهادة التي قد تقع ولا تقع وهي لا تقع إلا لمن إختاره الله تعالى لهذه المنزلة قال تعالى:- ﴿ويتخذ منكم شهداء﴾ ال عمران.

- قول لله تعالى ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ فأمر سبحانه بكف بأس الكافرين.

- وأمر سبحانه في آيات أخر بكف فتنة الكافرين ﴿حتى لا تكون فتنة﴾.

- وأمر سبحانه بالنكاية في الكافرين: ﴿وقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ التوبة.

- وجعل سبحانه الغاية من الجهاد إضهار دينه الحق كما قال تعالى: ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليضهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ التوبة.

- وجعل سبحانه القتال وسيلة لأظهار الدين كما قال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله﴾ الأنفال.

- فالمقصد الأصلي من الجهاد هو إظهار الدين لا مجرد الإستشهاد، والغرض من هذا هو كبح جماح التهور عند بعض المسلمين وردهم الى المنزلة الوسطى وهي الشجاعة التي هي وسط بين التهور والجبن.

- والتهور في القتال الذي أشير إليه هوالتعرض للقتل لمجرد الإستشهاد دون النظر الى ما توقعه بعدوك. وهذا وإن جاز في مواطن كمن أحيط به وخشي الأسر فقاتل حتى قتل كما في سرية عاصم بن ثابت (المغني).

- ولكن ليس هذا هو الأصل - ولو كانت الشهادة هي المقصد الأصلي لما جاز الفرار من أجل التحيز الى فئة أو التحرف للقتال، قال تعالى: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ الأنفال.

- وتعلم بهذا أن المقصود الأصلي هو إظهار الدين والنكاية في العدو.....

ومن المقاصد المعتبرة أيضاً في الجهاد:

- المحافظة على القوة الإسلامية وعدم تعريض المسلمين للهلاك دون جدوى عسكرية. ومن أجل هذا جاز للمسلم الفرار من ثلاثة كفار فما فوق كما قال ابن عباس (**من فر من اثنتين فقد فر، ومن فر من ثلاثة فما فر**) أخرجه البيهقي وصححه الألباني.

- وفي رسالة عمر الى سعد (ض) قال: ﴿ولا تبعثن طليعة ولا سرية في قتال تتخوف فيه غلبة أو ضيعة أو نكاية﴾ كل هذا يفيد أن المحافظة على قوة المسلمين هي مقصد معتبر.

- وأوضح من هذا في بيان المراد انسحاب خالد بن الوليد بالجيش في غزوة مؤتة حتى سمى النبيﷺ هذا فتحاً.

- وذلك فيما رواه البخاري عن أنس قال: (أن النبيﷺ نعى زيداً وجعفر وابن رواحة قبل ان يأتيهم خبرهم، فقال: اخذ الراية زيد فأصيب ثم اخذ الراية جعفر فأصيب ثم اخذ إبن رواحة فأصيب - و عيناه تذرفان- حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم).

قال ابن حجر:

* (اختلف أهل النقل في المرادبقوله "حتى فتح لله عليه" الى قوله العماد بن كثير: يمكن الجمع بأن خالداً لما حاز المسلمين وبات ثم أصبح وقد غير هيئة العسكر كما تقدم، وتوهم العدو أنهم قد جاء لهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم ورأى الرجوع بالمسلمين الغنيمة الكبرى) فتح الباري.

قال الشيخ عبد القادر عبد العزيز:

* (فهذا يبين أن المحافظة على المسلمين والقوة الإسلامية مقصد معتبر، ويجب عدم تعريض المسلمين للهلاك دون جدوى عسكرية من تحقيق نكاية في العدو).

أما هؤلاء الذين يقاتلون حماسة أو إندفاعاً تحت ضغط ردود الأفعال يقول سيد قطب رحمه الله حولهم:-

* إن أشد الناس حماسة واندفاعاً وتهوراً قد يكونون أشد الناس جزعاً وإنهياراً وهزيمة عندما يجد الجد وتقع الواقعة. بل إن هذه تكون القاعدة! ذلك أن الإندفاع والتهور والحماسة الفائقة غالباً ما تكون منبعثة عن عدم التقدير لحقيقة التكاليف لا عن شجاعة وإحتمال وإصرار.

* كما أنها قد تكون منبعثة عن قلة الإحتمال، الى طلب الحركة والدفع والأنتصار بأي شكل. دون تقدير لتكاليف الحركة والدفع والأنتصار. حتى إذا وجهوا بهذه التكاليف كانت أثقل مما قدروا، وأشق مما تصوروا فكانوا أول الصف جزعا ونكولاً وانبهاراً.

*على حين ثبت أولئك الذين كانوا يمسكون أنفسهم ويتحملون الضيق والأذى بعض الوقت، ويعدون للأمر عدته، ويعرفون حقيقة تكاليف الحركة ومدى إحتمال النفوس لهذه التكاليف فيصبرون ويتمهلون ويعدون للأمر عدته.

* والمتهورون المندفعون المتحمسون يحسبونهم إذ ذلك ضعافا، ولا يعجبهم تمهلهم ووزنهم للأمور!

* وفي المعركة يتبين أي الفريقين أكثر إحتمالا، وأي الفريقين أبعد نظرا كذلك!

* ويقول: ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ وكان وجود هذه الطائفة في الصف المسلم ينشيء فيه حالة من الخلخلة، وينشيء حالة من عدم التناسق بين هذه الطائفة الجزوع الهلوع، وبين الرجال المؤمنين ذوي القلوب الثابتة المطمئنة المستقلة لتكاليف الجهاد. على كل ما فيها من مشقة – بالطمأنينة والثقة والعزم والحماسة أيضا ولكن في موضعها.

* فالحماسة في تنفيذ الأمر حين يصدر هي الحماسة الحقيقية أما الحماسة قبل الأمر فقد تكون مجرد اندفاع وتهور، يتبخر عند مواجهة الخطر) انتهى كلام السيد.

* إذاً لا ينبغي للمسلمين أن يغرروا بأرواحهم فيما لا طائل تحته، أو تتحول أعمالهم إلى مجرد هبات غاضبة، وردود أفعال عفوية لا تزيدهم في الهدف إلا بعدا – ولا تضيف إلى رصيدهم في حس الأمة إلا مزيدا من النفور واللبس، بل والعداء والكراهية في كثير من الأحيان.

* إن هذه النقاط آنفة الذكر لابد من مراعاتها والأخذ بها عند القيام بأي عمل جاد يستهدف جمع الطاقات وتوحيد كلمة المسلمين، وإلا فإن دعوة توحيد الكلمة والجهود ستبقى زعما تلوكها الألسنة لا واقع ولا أثر لها في حياة الأمة والمسلمين.

مراحل وسمات

لخص الامام ابن القيم رحمه الله سياق الجهاد في الاسلام فـى(زاد الميعـاد) في الفصل الـذي عقـد باسم (فصل في ترتيب سياق هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث الى حين لقى الله عز وجل :

• أول ما أوحى اليه ربه تبارك وتعالى: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وذلك أول نبوته فأمره أن يقرأ في نفسه ولم يأمره إذ ذاك بالتبليغ ..ثم أنزل عليه ياأيها المدثر قم فأنذر فبداه بقوله (إقرأ) وأرسله بـ ياأيها المدثر ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ثم أنذر قومه، ثم أنذر العرب من حولهم ، ثم أنذر العرب قاطبة ثم أنذر العالمين.

* فأقام بضعة عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ويأمر بالكف والصبر والصفح، ثم أذن له بالهجرة ثم أذن له بالقتال، ثم أمره أن يقاتل من قاتله ويكف عمن إعتزله ولم يقاتله، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله.. ثم كان الكفار معه بعد الامر بالجهاد ثلاثة أقسام:

١-أهل صلح وهدنة...

٢-وأهل حرب....

٣-وأهل ذمة...

* فامره بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم وأن يوفى لهم به ما استقاموا على العهد، فإن خاف منهم خيانة نبذ اليهم عهدهم ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد وأمر أن يقاتل من نقض عهده....

* ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان هذه الاقسام كلها فأمره أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية أو يدخلو في الاسلام وأمر بجهاد الكفار والمنافقين والغلضة عليهم، فجاهد الكفار ونبذ عهودهم اليهم.

* وجعل أهل العهد في ذلك ثلاثة أقسام:-

١)قسم أمره بقتالهم وهم الذين نقضوا عهده ولم يستقيموا له، فحاربهم وظهر عليهم.

٢) وقسم لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه ولم يظاهروا عليه فأمره أن يتم لهم عهدهم الى مدتهم.

٣) وقسم لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه أو كان لهم عهد مطلق، فأمره أن يؤجلهم أربعة أشهر فإذا انسلخت قاتلهم.

* نقتل الناقض لعهده، وأجل من لاعهد له أو له عهد مطلق أربعة أشهر وأمر أن يتم للموفي بعهده عهده الى مدته، فأسلم هؤلاء كلهم ولم يقيموا على كفرهم الى مدتهم.

* وضرب على أهل الذمة الجزية فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام:-

١)محاربين له.

٢) وأهل عهد له .

٣) وأهل ذمة ...

* ثم آلت حالة أهل العهد والصلح الى الاسلام فصارو معه قسمين:-

١)محاربين

٢)وأهل ذمة.

* والمحاربون له خائفون منه. فصار أهل الارض معه ثلاثة أقسام:

١)مسلم مؤمن به

٢) مسالم له آمن.

٣)خائف محاذر.

* وأما سيرته في المنافقين فأنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله. وأن يجاهدهم بالعلم والحجة وأمر أن يعرض عنهم ويغلظ عليهم وأن يبلغ بالقول البليغ الى نفوسهم ونهى أن يصلى عليهم وأن يقوم على قبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم.... فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين...

يقول سيد قطب-رحمه الله- في الظلال معلقا على هذا الاستعراض:-

* إن تلك الاحكام المرحلية ليست منسوخة بحيث لا يجوز العمل بها في أى ظرف من الظروف الامة المسلمة بعد نزول الاحكام الاخيرة. في سورة التوبة،

* ذلك أن الحركة والواقع الذي تواجهه في شتى الظروف والامكنة والازمنة هي التى تحدد. عن طريق الجهاد المطلق أى الأحكام هو انسب للاخذ في ظرف من الظروف في زمان من الازمنة في مكان من الامكنة مع عدم نسيان الاحكام الاخيرة التى يجب أن يصار اليها متى أصبحت الامةالمسلمة في الحال التى تمكنها من تنفيذ هذه الاحكام كما كان حالها عند نزول سورة التوبة وما بعد ذلك أيام الفتوحات الاسلامية التى قامت على أساس من هذه الاحكام الأخيرة النهائية سواء في معاملة المشركين أو أهل الكتاب.

* إن المنهزمين في هذا الزمان أمام الواقع البائس لذراري المسلمين –الذين لم يبقى لهم من الاسلام الا العنوان – وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على أصل الجهاد في الاسلام، يحاولون أن يجدوا في النصوص المرحلية مهربا من الحقيقة التى عليها الانطلاق الاسلامى في الارض لتحرير الناس كافة من عبادة العباد وردهم جميعا الى عبادة الله وحده. وتحطيم الطواغيت والانظمة والقوى التى تقهرهم على عبادة غير الله، والخضوع لسلطان غير سلطان الله والتحاكم الى شرع غير شرعه...

* ومن ثم تراهم يقولون مثلا: إن الله سبحانه يقول: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾... ويقول ..... ويقول....

* وهان الامر لو أنهم حين ينهزمون روحيا أمام هذه القوى لايحيلون هزيمتهم الى الاسلام ذاته. ولايحملونه على ضعف واقعهم الذي جاءهم من بعدهم عن الاسلام أصلا... ولكنهم يأبون إلا أن يحملوا ضعفهم هم وهزيمتهم على دين الله القوى المتين.

* إن هذه النصوص التى يلتجؤن اليها نصوص مرحلية تواجه واقعا معينا... وهذا الواقع المعين قد يتكرر وقوعه في حياة الامة المسلمة وفي هذه الحالة تنطبق هذه النصوص المرحلية، لأن واقعها يقرر أنها في تلك المرحلة التى وجهتها تلك النصوص بتلك الاحكام.

* ولكن هذا ليس معناه أن هذه هي الغاية المنى وأن هذه هي نهاية خطوات هذا الدين... إنما معناه على الامة المسلمة أن تمضي قدما في تحسين ظروفها وفي إزالة العوائق من طريقها حتى تتمكن في النهاية من تطبيق الاحكام النهائية الواردة في سورة التوبة والتيكانت تواجه واقعا غير الواقع الذي واجهته نصوص المرحلية.

وهذا ما نفهمه من فقه هذه المراحل بتوفيق الله:-

- فالبلد المسلم الذي يقوم فيه فئة إسلامية قليلة مستضعفة... عليها أن تباشر الدعوة الى الله سرا أو جهرا، مبينة دينها ومقتضياتها كما نزله الله غير خائفة لومة لائم...
- وليس عليها أول قيامها أن تعلن القتال والحرب والصدام ولكن يجب أن تكون هذه المراحل في منظورها ومنذ البدء...وأنها تسعى للوصول اليها في نهاية المطاف..

– فهي ليست حركة دعوة وإصلاح وحسب... وإنما حركة إعادة للبعث الاسلامي...حركة جهاد لأقامة الحكم الاسلامي... فعندما تتسع الحركة وتمتد ويكون لها أنصار...فإنها تتعامل مع الواقع الذي تعيش فيه حسب واقعها ولكل مرحلة مقتضياتها.

إقامة إمامة صالحة في أرض الله

* إن إقامة الامامة الصالحة في أرض الله لها أهمية جوهرية وخطورة بالغة في نظام الاسلام فكل من يؤمن بالله ورسوله وبدين الحق، لاينتهي عمله بأن يبذل الجهد المستطاع لافراغ حياته في قالب الاسلام، ولاتبرأ ذمته من ذلك فحسب بل يلزمه بمقتضى ذلك الايمان ان يستنفذ قواه ومساعيه فى انتزاع زمام الامر من ايدى الكافرين والفجرة الظالمين حتى يتسلمه رجال ذو صلاح ممن يتقون الله ويرجون حسابه ويقوم في الارض ذلك النظام الحق المرتضى الذى به صلاح امور الدنيا وقوام شؤونها.

* ثم اذا لم يكن من الممكن تحقق هذا المقصدالاسمى الا بالمساعي الجماعية ،لم يكن بد من ان تكون في الأرض جماعة صالحة تؤمن بمباديء الحق وتحافظ عليها ولا تكون لها غاية فى الحياة الا اقامة نظام الحق وادارة شؤونه بغاية من الاهتمام والعناية.

* ولعمر الحق أن لو لم يكن على وجه الأرض الا رجل واحدمؤمن ما جاز له:

– أن يرضى على نفسه بتسلط نظام الباطل، حينما يجد نفسه وحيدا فاقدا للوسائل اللازمة.

– أو أن يحاول التستر وراء الحيل الشرعية كالاقتناع بـ(أهون الشرين).

– أو أن يساوم النظام الكفر والفجور السائد في إيمانه ويقتنع بحياة موزعة بين الكفر وطاعة الله.

– بل الحق أنهلا يكون أمامه إلا طريق واحد: وهو أن يدعوا الناس كافة إلى منهج الحياة الذي يرضى به الله تعالى.

– فإن لم يجب أحد دعوته فإن قيامه على الصراط المستقيم وإستمراره في دعوة الناس حتى يلقى ربه خير له ألف مرة من أن يتنكب الصراط الحق ويهتف بنعرات تهش لها وتفوح لها الدنيا المتسكعة في البيداء الضلالة والغواية، أو يأخذ في المشي على طريق جائرة بزعامة الكفار.

– وإن وجد من عباد الله رجالا يستمعون لقوله ويلبون دعوته، فعليه أن يؤلف منهم كتلة لا يكون همها الا استنفاد جميع القوى الجماعية في سبيل تحقيق تلك الغاية التي نحن بصدها.

الايضاح والبيان واجب الدعاة الأول

يقول سيد قطب -رحمه الله-:-

* هناك حقائق من طبيعة منهج هذه الدعوة التى لايجوز للدعاة الاجتهاد فيها وهي أن عليهم أن يجهروا بالحقائق الاساسية في هذا الدين ولا يخفوا منها شيئا، وألا يؤجلوا منها شيئا، في مقدمة هذه الحقائق:-

- أنه لاألوهية الا الله، فهذه الحقيقة الاساسية يجب أن تعلن أيا كانت المعارضة والتحدي، وأيا كان الاعراض من المكذبين والتولي، وأيا كانت وعورة الطريق وأخطارها كذلك.

- ليس من الحكمة والموعظة الحسنة إخفاء جانب من هذه الحقيقة أو تأجيله، لأن الطواغيت في الارض يكرهونه أو يؤذون الذين يعلونونه، أو يعرضون بسببه عن هذا الدين، أو يكيدون له وللدعاة اليه،

- فهذا كله لا يجوز ان يجعل الدعاة الى هذا الدين يكتمون شيئا من حقائق الاساسية، ولا أن يبدأوا مثلا من الشعائر والاخلاق والسلوك والتهذيب الروحي متجنبين الطواغيت في الارض.

- بل الواجب عليهم أن يبدأوا من اعلان وحدانية لله والربوبية ومن ثم توحيد الدينونة والطاعة والخضوع والاتباع لله وحده.

* إن هذا المنهج الحركي بهذه العقيدة كما أراده لله سبحانه وتعالى، ومنهج الدعوة الى لله كما سار بها سيدنا محمدﷺ بتوجيه من ربه، فليس لداع الى أن يتنكب هذا الطريق، وليس له أن ينهج غير ذلك النهج،ولله متكفل بدينه، وهو حسب الدعاة الى هذا الدين وكافيهم شر الطواغيت.

* ويقول: إن دين لله حقيقة تتمثل فى الضمير وفي الحياة سواء، تتمثل في عقيدة تعمر القلب، وشعائر تقام للتعبد، ونظام يصرف الحياة، ولا يقوم دين لله الا في هذا الكل المتكامل ولايكون الناس على دين لله الا وهذا الكل المتكامل متمثل في نفوسهم وفي حياتهم ، وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تميع للعقيدة، وخداع للضمير،ولايقدم عليه مسلم نظيف الضمير.

* وعلى المسلم أن يجهر بهذه الحقيقة ويفاصل الناس كلهم على أساسها، ولا عليه مما ينشأ عن هذه المفاصلة، ولله هو العاصم.

* ويقول: وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم ، ولايبين عن الفارق الاساسى بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم اليه من الحق، وعن الفاصل بين حقه وباطلهم، وحذرا من مواجهة الناس بواقعهم الذي يملأ عليهم حياتهم وأفكارهم وتصوراتهم، فإنه يكون قد خدعهم وآذاهم، لأنه لم يعرفهم حقيقة المطلوب منهم كله. وذلك فوق أنه يكون لم يبلغ ما كلفه لله تبليغه.

- إن التلطف في دعوة الناس الى لله، ينبغي أن يكون في الاسلوب الذي يبلغ به الداعية، لاني الحقيقة التى يبلغهم إياها إن الحقيقة يجب أن تبلغ كاملة أما الاسلوب فيتبع المقتضيات القائمة، ويرتكز على قاعدة الحكمة والموعظة الحسنة.

* ويقول سيد قطب-رحمه لله-: حول واقع اليوم، من تأخر المسلمين وتقدم الكفارمن جوانب متعددة من العلوم الدنيوية. والهيمنة السياسية على العالم، وتأثير هذا الواقع المؤلم على بعض الدعاة، يقول:

- ولقد ينظر بعضنا اليوم فيرى أهل الكتاب هم أصحاب الكثرة العددية، وأصحاب القوة المادية.

- وينظر فيرى أصحاب الوثنيات المختلفة يعدون المئات الملاين في الارض وهم أصحاب كلمة مسموعة في الشؤن الدولية،

- وينظر فيرى أصحاب المذاهب المادية ذوى أعداد ضخمة، وأصحاب قوة مدمرة،

- وينظر فيرى الذين يقولون أنهم مسلمون ليسوا على شئ لأنهم لايقيمون كتاب لله المنزل اليهم،

* فيتعاظمه فيستكثر أن يواجه البشرية الظالة كلها بكلمة الحق الفاصلة، ويرى عدم الجدوى أن يبلغ الجميع أنهم ليسوا على شئ وأن يبين لهم الدين الحق وليس هذا هو الطريق.

* إن كلمة الحق في العقيدة لاينبغي أن تجمجم، أنها يجب أن تبلغ كاملة فاصلة، وليقل من شاء من المعارضين كيف يشاء. وليفعل من شاء من أعدائها ما يفعل.... والمطلوب هو عدم المداهنة في بيان كلمة الحق كاملة في العقيدة.وعدم اللقاء في منتصف الطريق في الحقيقة ذاتها، فالحقيقة الاعتقادية ليست فيها إنصاف حلول) (طريق الدعوة في ظلال القرآن.)

* انها كلمات مضيئة...وليقف الدعاة أمامها قبل غيرهم وقفة تأمل ...فليس هذا التكليف بالبيان والايضاح إختيارى. إن شاء الدعاة فعلوه، وإن شاؤوا كتموه... لأن لله تعالى قال:﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ البقرة.

تجنب التشنجات والتطرف وتكلف المواقف

* لقد ميعت كلمة التطرف والتشدد حتى كادت تصبح لدى أعداء الإسلام وأذنابهم، علما على كل مسلم يريد تحكيم شرع لله ولو في حياته الخاصة، وليس هذا ما نعني بتجنب التطرف والتشدد والتشنج بالطبع.

* فالله سبحانه وتعالى أخبرنا أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم، فلن يرضوا منا إلا ترك ديننا، فإن لم نترك فنحن متطرفون ومتشددون ودينيون وإرهابيون.

* فإن كانت المطالبة بتحكيم شرع لله وبيانه للناس، والتزام أحكام الإسلام تطرفا وتشددا، وإن كان العمل لها إرهابا وتشددا فنعمت الصفات هي، ولكنها ليست كذلك إنها عين اليسر والإعتدال، وممارسة الحق في اختيار الأسلوب المناسب.

* ولكن امرا يجب ان يكون بالغ الوضوح في رؤية المسلمين. وهو أن لله تعالى اخبرنا على لسان نبيه، ان هذا الدين يسر، وما اختيارنا هذا الطريق الا لأنه من أسباب علاج الواقع. تلك الأسباب التي فرضها لله تعالى واختارها وشرعها.

فالمطلوب منا:

- حسن البيان، ومقارعة الحجة بالحجة.
- والترفق بالطيبين من المسلمين خصوصا، حتى نأخذ بأيدهم بالهويني إلى حظيرة الإسلام ويعملوا لصالح الإسلام والمسلمين.

* والمطلوب شرح قضيتنا بلين وهذا في الاسلوب أما في العقيدة فلا مناصفة ولا مساومة...فأما العنف والجهاد، فلمن وقف في وجه الحق واستحالت معه الحسنى من الكفار والحربيين وإن لله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.كما قال عثمان بن عفان.

* أما الاعتداء الى الطيبين من المسلمين الذين يحبون هذا الدين و يجهلوا جله، وحملهم على المواقف حملا، ووضعهم تحت طائلة القاعدة (**من لم يُكَفر كافراً فقد كفر**) فتكلف لا محل له.

* فليس الطريق أن نقول فلان لا يكفر الحاكم فهو كافر..وفلان لا يكفر هذا الأخير فهو كافر وفلان لا يكفره كذلك.

* وهكذا ندخل في هذه الدائرة المغلقة، حتى نصل الى ما وصل اليه المنحرفون قديما وحديثا.

* وليس كل خروج عن احكام الاسلام كفر فهناك فروع كثيرة واعذار بالجهل وليس هذا محل البحث.

* وقد تروي علماء العقيدة كثيرا في هذا الباب، وقالوا بإسلام من يحكم باسلامه ولو من باب من سبعين باب.

هوية الراية وطبيعة المعركة

يقول سيد قطب-رحمه الله-في معرض كلامه في ظلال قصة أصحاب الاخدود:

* هناك حقيقة أخرى تشير اليها إحدى التعقيبات القرآنية على قصة الاخدود في قوله تعالى﴿وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ حقيقة ينبغي أن يتأملها المؤمنون الداعون الى الله في كل أرض وكل جيل.

* إن المعركة بين المؤمنين وخصومهم، هي في صميمها معركة عقيدة ، وليست شيئا أخر على الاطلاق، وان خصومهم لاينقمون منهم إلا الايمان، ولايسخطون منهم الا العقيدة.

* انها ليست معركة سياسية ولا معركة إقتصادية، ولامعركة عنصرية، ولوكانت شيئا من هذا ليسهل حل إشكالها ولكنها في صميمها معركة عقيدة –أي إما كفر واما إيمان– واما جاهلية واما إسلام.

* ولقد كان كبار المشركين يعرضون على رسول الله ﷺ المال و الحكم والمتاع مقابل شيء واحد، أن يدع معركة العقيدة، وان يدهن في هذا الامر، ولوا أجابهم وحاشاه– الى شيء مما أرادوا لما بقيت بينهم وبينه معركة على الاطلاق

* إنها قضية العقيدة ومعركة عقيدة... وهذا ما يجب أن يستيقنه المؤمنون حيثما واجهوا عدوا لهم فأنه لايعاديهم الا لهذه العقيدة الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميدويخلصوا له وحده الطاعة والخضوع.

* وقد يحاول أعداء المؤمنين أن يرفعوا للمعركة راية غير راية العقيدة راية سياسية أو اقتصادية أو عنصرية كي يموهوا على المؤمنين حقيقة المعركة ويطفئوا في أرواحهم شعلة العقيدة. فمن واجب المؤمنين الا يخدعوهم و من واجبهم أن يدركوا ان هذا تمويه لغرض مبيت، وان الذي يغير راية المعركة انما يريد ان يخدعهم عن سلاح النصر الحقيقي فيها، النصر في صورة من الصور.

نماذج وعبرة من طريق الدعوات

* يقول سيدقطب رحمه الله في موضع آخر من بعثه في ظلال نفس السورة أي سورة البروج (قصة أصحاب الأخدود) لقد شهد تأريخ الدعوة الى الله نماذج منوعة من نهايات في الأرض مختلفة للدعوات، وهذه النماذج هي:

* شهد مصارع قوم نوح، وقوم هود، وقوم شعيب، وقوم لوط.

* ونجاة الفئة المؤمنة قليلة العدد مجرد النجاة ولم يذكر القرآن للناجين دورا بعد ذلك في الأرض والحياة.

* وهذه النماذج تقرر ان الله تعالي يريد أحيانا ان يعجل للمكذبين الطغاة بقسط من العذاب في الدنيا اما الجزاء الأوفى فهو مرصود لهم هناك.

* وشهد تأريخ الدعوة مصرع فرعون وجنوده، ونجاة موسى مع التمكين للقوم في الارض، لانهم كانوا فيها أصلح ما كانوا في تأريخهم، وأن لم يرتقوا قط الى الاستقامة الكاملة، والى اقامة دين الله في الارض، منهجا للحياة شاملا. وهذا نموذج غير النماذج الاولى.

* وشهد تأريخ الدعوة كذلك مصرع المشركين الذين استعصوا على الهدى والايمان بمحمد ﷺ وانتصار المؤمنين انتصارا كاملا مع انتصار العقيدة في نفوسهم انتصارا عجيبا، وتم للمرة الوحيدة في تأريخ البشرية ان اقيم منهج الله مهيمنا على الحياة في صورة لم يعرفها البشرية قط، من قبل ولا من بعد.

* وشهد كما رأينا نموذج أصحاب الاخدود، حيث تضى المؤمنون نحبهم شهداء على يد الكافرين، وأحرقوا عن آخرهم.

* وشهد نماذج أخرى أقل ظهورا في سجل التأريخ الايماني القديم والحديث، وما يزال يشهد نماذج تتراوح بين هذه النهايات التي حفظها على مدار القرون.

* ولم يكن بد من نموذج الذي يمثله حادث الاخدود الى جانب النماذج الاخرى القريب منها والبعيد...لم يكن بد من هذا النموذج الذي لا ينجوا فيه المؤمنون، ولا يؤخذ الكافرون...

* ذلك ليستقر في حس المؤمنين (أصحاب دعوة الله) إنهم قد يدعون الى نهاية كهذه النهاية في طريقهم الى الله، وان ليس لهم من الامر شيء، انما أمرهم وأمر العقيدة الى الله...

* إن عليهم أن يؤدوا واجبهم ثم يذهبوا وواجبهم ان يختاروا الله وأن يؤثروا العقيدة على الحياة وان يستعلوا بالايمان على الفتنة وأن يصدقوا الله في العمل والنية.

* ثم يفعل لله بهم وبأعدائهم كما يفعل بدعوته ودينه ما يشاء، وينتهي بهم الى نهاية من تلك النهايات التي عرفها تأريخ الايمان، أو الى غيره مما يعلمه هو ويراه.

* إنهم أُجراء عند لله اينما وحيثما وكيفما ارادهم أن يعملوا، عملوا وقبضوا الأجر المعلوم وليس لهم ولا عليهم إن نتيجة الدعوة الى أي مصير فذلك شأن صاحب الامر لا شأن الاجير.

* وهم يقبضون الدفعة الاولى طمأنينة في القلب، ورفعة في الشعور وجمالا في التصور، وانطلاقا من الاوهام والجواذب وتحررا من الخوف والقلق في كل حال من الاحوال وهم يقبضون الدفعة الكبرى في الأخرة حسابا يسيرا، ونعيما كبيرا مع كل دفعة ما هو أكبر منها جميعا، رضوان لله.

* وانهم مختارون ليكونوا أداة لقدره وشعارا لقدرته يفعل بهم في الارض ما يشاء.

* وهكذا انتهت التربية القرآنية بالفئة المختارة من المسلمين في الصور الاولى الى هذا التطور الذي أطلقهم من امور ذواتهم وشخوصهم، فأخرجوا انفسهم من الامر البتة وعملوا أجراء عند صاحب الامر ورضوا خيرة لله على أي وضع واي حال.

* ان لله حكمة وراء كل حال ومدبر هذا الكون كله المطلع على أوله وآخره، المنسق لأحداثه و روابطه، هو الذي يعرف الحكمة المكنونة في غيبه المستور، الحكمة التي تتفق مع مشيئة السير الطويل.

* و في بعض الأحيان يكشف لنا بعد أجيال و قرون عن حكمة حادث لم يكن معاصروه يدركون حكمته و لعلهم كانوا يسألون لماذا... لماذا يا رب يقع هذا؟ و هذا السؤال هو الجهل الذي يتوقاه المؤمن، لأنه يعرف إبتداء أن هناك حكمة وراء كل قدر.

* لقد كان القرآن ينشئ قلوبا يعدها لحمل الأمانة و هذه القلوب كان يجب أن تكون من الصلابة و القوة و التجرد لا تتطلع –و هي تبذل كل شيء، وتتحمل كل شيء– الى شيء في هذه الأرض ولا تنظر الا الى الأخرة، ولا ترجوا إلا رضوان لله...

* قلوبا مستعدة لقطع رحلة الارض كلها في نصب وشقاء وجهاد وتضحية وعذاب حتى الموت، بلا جزاء في هذه الارض قريب ولو كان هذا الجزاء هو إنتصار هذه الدعوة وغلبة الإسلام و ظهور المسلمين.

* بل لو كان هذا الجزاء هو هلاك الظالمين بأخذهم أخذ عزيز مقتدر، كما فعل بالمكذبين الأولين.

* حتى إذا وجدت هذه القلوب التي تعلم أن ليس أمامهم في رحلة الأرض الا أن تعطى بلا مقابل –أي مقابل– و أن تنتظر الأخرة وحدها موعداً للفصل بين الحق و الباطل.

* حتى إذا وجدت هذه القلوب و علم لله فيها صدق نيتها على ما بايعت و عاهدت آتاها النصر في الأرض و أئتمنها عليه لا لنفسها و لكن لتقوم بأمانة المنهج الألهي.

* و هي أهل لأداء الأمانة منذ كانت لم توعد بشئ من المغنم في الدنيا تتقاضاه، و لم تتطلع الى شئ من المغنم في الأرض تعطاه، و قد تجردت لله حقاً يوما كانت لا تعلم لها جزاء إلا رضاه...

* وهذه اللفتة جديرة بأن يتدبرها الدعاة الى الله في كل أرض و في كل جيل فهي كفيلة بأن تريهم معالم الطريق واضحة بلا غبش، و أن تثبت خطى الذين يريدون أن يقطعوا الطريق الى نهايته كيفما كانت هذه النهاية، ثم يكون قدر الله بدعوته و بهم ما يكون.

* فلا يلتفتون في أثناء الطريق الدامي المفروش بالجماجم و الأشلاء بالعرق و الدماء الى نصر أو غلبة، أو فيصل بين الحق و الباطل في هذه الأرض و لكن إذا كان الله يريد أن يصنع بهم شيئاً من هذا لدعوته و لدينه فسيتم ما يريده الله ... لا جزاء على الآلام و التضحيات..لا.. فالأرض ليس دار جزاء، و إنما تحقيقاً لقدر الله في دعوته و منهجه على أيدي الناس من عباده يختارهم ليمضي بهم من الأمر ما يشاء، وحسبهم هذا الأختيار الكريم الذي تهون الى جانبه و تصغر هذه الحياة، وكل ما يقع في رحلة الأرض من سراء أو ضراء...

الأمارة

أولاً الأمارة واجبة

أدلة وجوبها :-

- لقوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ النساء:٥٩.

- وقوله تعالى: ﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطون منهم﴾ النساء:٨٣.

* فدلت الأيتان على أنه لابد للناس من ولي أمر يتولى شؤنهم ويدبر مصالحهم، وذلك بدلالة النص.

- قال رسول الله ﷺ:- (**لا يحق لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا امروا عليهم احدهم**) رواه أحمد عن عبدالله بن عمرو.

- وقال رسول الله ﷺ: (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا عليهم أحدهم**) رواه أبوداود عن أبي سعيد.

وقال الشوكاني في نيل الأوطار: (باب وجوب نصب القضاء والإمارة وغيرها) وذكر الأحاديث السابقة ثم قال:-

* ولفظ حديث أبي هريرة: (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**) دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة فصاعداً أن يؤمروا أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي الى التلاف. فمع عدم التأمير يستبد كل واحد برأيه ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون ومع التأمير يقل الإختلاف وتجتمع الكلمة.

* وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو مسافرون. فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل التخاصم أولى وأحرى، وفي ذلك دليل لقول من قال إنه يجب على المسلمين نصب الأئمة والولاة والحكام.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :-

* يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها.

* فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالإجتماع لحاجة بعضهم الى بعض. ولا بد لهم عند الإجتماع من رأس حتى، قال النبيﷺ: (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**). رواه أبوداود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة. وروى الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن عمرو، أن النبيﷺ قال: (**لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا امروا عليهم احدهم**).

* فأوجبﷺ تأمير الواحد في الإجتماع القليل العارض في السفر، تنبيهاً بذلك على سائر انواع الإجتماع. لأن لله تعالى اوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم.

* وإقامة الحدود لا تتم إلا بالقوة والأمارة –الى قوله– فالواجب إتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها الى لله؛ فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات.

* وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لإبتغاء الرياسة أو المال بها. وقد روي كعب بن مالك عن النبيﷺ أنه قال: (**ما ذئبان جائعان ارسلا في زريبة غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه**) قال الترمذي حديث حسن صحيح. فأخبر أن حرص المرء على المال والرياسة يفسد دينه مثل أو أكثر من الفساد الذئبين الجائعين لزريبة الغنم.

ثانياً:- التأمير موكل الى ولي الأمر إن وجد

- لحديث بريدة (ض): (**كان رسول اللهﷺ إذا امر اميراً على جيش او سرية اوصاه في خاصته بتقوى لله، وبمن معه من المسلمين خيراً**) رواه مسلم.

قال ابن قدامة:

* (وأمر الجهاد موكل الى الإمام وإجتهاده، الى قوله ويؤمر في ناصيته أميراً يقلده أمر الحروب وتدبير الجهاد، ويكون ممن له رأي وعقل ونجدة وبصر بالحرب ومكايدة العدو، ويكون فيه أمانة ورفق ونصح للمسلمين) المغني كتاب الجهاد.

ثالثاً:- ولولي الأمر أن يؤمر عدة أمراء على الترتيب

- لفعل النبيﷺ في غزوة مؤتة (بعث الأمراء) حيث رتب ثلاثة أمراء على التوالي متفق عليه إن أصيب الأول خلفه الثاني وهكذا.

- وروي البخاري بسنده عن ابن عمر (ض) قال: **أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤته زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: (إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة، قال ابن عمر: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن ابي طالب، فوجدناه، في القتلى ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية).**

- ولا تنعقد الإمارة للثاني إلا إذا مات الأول أو أصيب بما يعجزه عن القيام بعمله، وليس للثاني أن ينازع الأول في الأعمال، بحجة أن له أمارة محتملة أو نحوه، مادام الأمير هو الأول، بل على الجميع السمع والطاعة له.

- وفي يوم وقعة الجسر الشهيرة مع الفرس كان الأمير أبو عبيدة بن مسعود الثقفي أوصى بالأمارة على الجيش لثمانية من بعده على الترتيب، إن قتل، فقتل هو وسبعة من الأمراء من ثقيف من بعده حتى انتهى الأمارة الى الثامن وهو المثنى بن حارثة. وكانت دومة أمرأة أبي عبيد رأت مناماً يدل على ما وقع سواءً بسواء. (البداية والنهاية لأبن كثير).

- وهذا أكبر عدد يعرف في عهد الأمير لمن بعده وذلك في خلافة عمر وتوافر الصحابة بلا تنكير منهم.

رابعاً:- متى تؤول سلطة التأمير الى الرعية

* تبين فيما سبق وجوب الإمارة وان التأمير من حق إمام المسلمين ومن يحل محله كولي أمر مسئول عن عمل من الأعمال. إلا أنه في بعض الأحوال يتعين على جماعة المسلمين أن يختاروا الأمير بأنفسهم، ومن أمثال هذا:-

- إذا فقد الأمير المعين من جهة الإمام (بقتل أو أسر أو عجز) ولم يتمكن المسلمون من مراجعة الإمام، ولم يكن لهم عدة أمراء على الترتيب أو انتهوا.

- إذا شرع المسلمون أو طائفة منهم في عمل من الأعمال الجماعية (خاصة التدريب والجهاد) ولم يكن للمسلمين. كما هو الحال في زماننا الأن. فعلى المسلمين أن يختاروا أحدهم للأمارة، ولا يصح أن يعملوا بدون امارة وقد أعطاهم النبي ﷺ سلطة التأمير بقوله **(فليؤمروا)** من حديث: **(إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا احدهم)**.فأسند ﷺ سلطة التأمير الى هذا الجمع الذي إجتمعت على أمر مشترك بينهم وهو السفر.

- ويستدل أيضاً بفعل الصحابة "رضوان الله عليهم" في غزوة مؤتة بعد قتل الأمراء الثلاثة الذين أمرهم النبي ﷺ فاتفقوا على تأمير خالد بن الوليد، وقد رضي النبي ﷺ صنيعهم هذا.

- روي البخاري بسنده عن أنس (ض): قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: **(أخذ الراية زيد فأصيب، ثم اخذها جعفر فأصيب،ثم اخذها عبدالله بن رواحة فأصيب، ثم اخذها خالد بن الوليد من**

غير إمرة، ففتح الله عليه، وما يسرهم انهم عندنا) قال انس (وإن عينه لتذرفان). وفي رواية أخرى للبخاري عن أنس (حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم) حديث ٤٢٦٢.

قال ابن حجر:-

* لما قتل ابن رواحة (ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم الأنصاري فقال: أصالحوا على رجل، فقالوا: أنت لها، قال: لا، فأصالحوا على خالد بن الوليد) وروي الطبراني من حديث أبي ميسر الأنصاري قال: أنا دفعت الرية الى ثابت بن أقرم لما أصيب عبدالله بن رواحة، فدفعها الى خالد بن الوليد وقال له: أنت أعلم بقتال مني).

– وقال ابن حجر أيضاً وفيه جواز التأمير في الحرب بغير تأمير أي بغير نص من الإمام.

قال الطحاوي:

* وهذا أصل يؤخذ منه، على المسلمين أن يقدموا رجلاً إذا غاب الإمام يقوم مقامه الى أن يحضر. (فتح الباري)

قال ابن الحجر كذلك:

* قال ابن المنير: (يؤخذ من حديث الباب أن من تعين لولاية وتعذرت مراجعة الإمام ان الولاية تثبت لذلك المعين شرعاً وتجب طاعته حكماً) وكذا قال ولا يخفى أن محله إذا اتفق الحاضرون عليه. (فتح الباري)

وقال إبن قدامة الحنبلي:

* فإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت بتأخره وإن حصلت الغنيمة قسمها أهلها على موجب الشرعي.

قال القاضي:

* ويؤخر قسمة الإمام حتى يضهر إمام إحتياطا للخروج.

* فإن بعث الإمام جيشا وأمر عليهم أميرا فقتل أو مات فللجيش أن يامروا أحدهم كما فعل أصحاب النبيﷺ في جيش مؤتة لما قتل أمراؤهم الذين أمرهم النبيﷺ، أمروا عليهم خالد بن وليد فبلغ النبيﷺ فرضي أمرهم وصوب رأيهم وسمى خالدا (سيف الله) المغني والشرح الكبير.

الغزو مع الأمير الفاجر

* الفاجر هو غير العدل، والعدالة هي (استواء أحواله في دينه، وقيل من لم تظهر منه ريبة...) ويعتبر لها شيئان:-

١) الصلاح في الدين: وهو أداء الفرائض برواتبها واجتناب المحرم بأن لا يأيتي كبيرة ولا يدمن على الصغيرة.

٢) استعمال المروءة: بفعل ما يجمله ويزينه وترك ما يدنسه ويشينه.

شروط الأمارة:-

١- يجب أن يكون رجلاً صالحاً.

٢- ذات كفاءة، لقوله تعالى:- ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾.

وقال شارح العقيدة الطحاوية (أن من أظهر البدعة أو فجوراً لا يرتب إماماً للمسلمين، فإنه يستحق التعزير حتى يتوب، فإن أمكن هجره حتى يتوب كان أحسن). والأصل في هذا قول الله تعالى:- ﴿و إذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن، قال إني جاعلك للناس إماما قال و من ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين﴾ البقرة. فلا ينبغي أن يرتب إماماً أو أميراً من به ظلم و فجور.

* فإن كان الأمير فاجراً، ولم يوجد غيره. أو لم يتيسر العمل مع غيره بسبب عدم العلم بوجود الأصلح.

* وبالتالي فإن ترك الجهاد مع الفاجر يفوت المصلحة الشرعية في الجهاد. والكلام هنا من وجهين، وينبني على سؤال وهو:-

١- هل فجوره في نفسه؟

٢- أو فيما يتعلق بمصالح المسلمين؟

* الوجه الأول: وهو إذا كان فجوره في نفسه:- كمن يشرب الخمر أو المخدرات أو يغل من الغنيمة أو له فسق أو بدعة، فهذا يغزى معه. طالما كان فجوره هذا لا يخل بقتاله للعدو ولا يضيع قضية الجهاد، مع الإستمرار في نصحه ووعظه وتعليمه بما يناسب مثله لعل الله يصلح حاله،

* (وهذا أصل مقرر في إعتقاد أهل السنة والجماعة، ومذكور في فقه الجهاد). وهذا الوجه الأول هو المقصود بالغزو مع البر والفاجر. وهو من كان فجوره في نفسه ليس فيما يتعلق بمصالح الإسلام والمسلمين ودليل الغزو مع الفاجر في نفسه ما يلي:-

* ما ذكره ابن قدامة الحنبلي قال: (مسئلة) قال (ويغزى مع كل بر و فاجر). يعني مع كل إمام قال أبو عبدالله وسئل عن الرجل، يقول أنا لا أغزو ويأخذه ولـــد العباس إنما يوفر الفيء عليهم، فقال سبحان الله هؤلاء قوم سوء هؤلاء القعدة مثبطون جهال. فقال: أرأيتم لو ان الناس كلهم قعدوا كما قعدتم من كان يغزوا؟ أليس كان قد ذهب الإسلام؟ ما كانت تصنع الروم.

- وقد روي أبوداود بإسناده عن أبي هريرة قال:قال رسول الله ﷺ: (**الجهاد واجب عليكم مع كل امير براً كان او فاجراً**).

- وبإسناده عن انس قال، قال رسول الله ﷺ: (**ثلاث من اصل الإيمان: الكف عمن قال لاإله إلا الله لا تكفره بذنب و لا تخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل اخر امتي الدجال و الإيمان بالأقدار**).

- ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي الى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم. قال الله تعالى: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض﴾ المغني والشرح الكبير.

يقول الشيخ عبد القادر عبد العزيز: بل قد ذكر ابن تيمية عن أحمد كلاماً أشد من هذا في المفاضلة بين الأمير الفاجر القوي والصالح الضعيف.

فقال ابن تيمية :-

* إجتماع القوة والأمانة في الناس قليل. ولهذا كان عمر بن الخطاب (ض) يقول: "اللهم أشكو إليك جلد الفاجر، وعجز الثقة" فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها. فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والأخر أعظم قوة، قدم أنفعهما لتلك الولاية: وأقلهما ضرراً فيهما. فيقدم في إمارة الحروب الرجل القوي الشجاع -وإن كان فيه فجور- على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً.

* كما سئل الإمام أحمد: عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قوي فاجر والأخر صالح ضعيف، مع أيهما يغزى؟ فقال: أما الفاجر القوي فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه. وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين فيغزى مع القوي الفاجر... وقد قال ﷺ: (**إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**).

وروي (بأقوام لا خلاق لهم). وإن لم يكن فاجراً، كان أولى بإمارة الحرب ممن هو أصلح منه في الدين إذا لم يسد مسده) "مجموع الفتاوى".

وابن تيمية في فتواه بقتال التتار ذكر الغزو مع الأمير الفاجر فقال:-

* (فإن اتفق من يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية في رضوان الله، وإعزاز كلمته، وإقامة دينه وطاعة رسوله وإن كان فيهم من فيه فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدي عليهم في بعض الأمور.

* وكانت مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه: كان الواجب أيضاً قتالهم دفعاً لأعظم المفسدتين بإلتزام أدناهما، فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها).

* ولهذا كان أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم كما أخبر بذلك النبي(ص).

مما سبق تدرك أن هذه المسألة مبنية على عدد من النصوص والقواعد الشرعية منها:-

أ- قاعدة (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف). ومعلوم أنه إذا لم يتيسر إلا هكذا، فالعدو الكافر وهو الضرر الأشد يدفع بالأمير المسلم الفاجر وهو الضرر الأخف، وتصاغ هذه القاعدة أحياناً بلفظ (يختار أهون الشرين).

ب- حديث (**إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى**) متفق عليه. فإذا كانت نيتك صالحة وهي أنك تجاهد لتكون كلمة الله هي العليا، فلا يضرك أن تكون نية الأمير فاسدة، فلكل نيته وأجره بحسبها، كأن يكون الأمير يقاتل لنصرة عصبته، أو من أجل الرياسة، أو من أجل المال ونحو ذلك.

ج- قول الله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾ المائدة. فتعاون الأمير الفاجر في الطاعة، ولا تطعه ولا تعاونه في المعصية، وفعله المعاصي كما سبق ليس بمبرر لترك معاونته على الطاعة بالجهاد معه.

* هذا كله في الوجه الأول وهو إذا لم يكن الجهاد إلا مع الأمير الفاجر في نفسه، أما إن كان فجوره يتعدى الإضرار بالإسلام والمسلمين فهو الوجه الثاني.

* الوجه الثاني: وهو الأمير الذي يضر فجوره بالأسلام والمسلمين. كمن لا يبالي بتضييع المسلمين بلا مصلحة. أو من يمالي العدو في الباطن ويخون قضية الجهاد.

يقول الشيخ عبد القادر عبد العزيز:

* فالقول عندي في هذا ألا يخرج معه في الجهاد إذا كانت مفسدة الخروج معه مثل أو أشد من مفسدة العدو.

* إذ إن الخروج معه مضرة محضة أو لا مصلحة فيه، كهؤلاء الذين يحشدون الناس ويثيرونهم باسم الإسلام والجهاد في سبيل الله، إما لحماية أنظمة حكمهم العلمانية وإما لمقاومة عدو أجنبي لينتهي الأمر بإقامة حكم علماني كافر وأمثلة هذا في زماننا المعاصر كثيرة.

قال إبن قدامة الحنبلي:

* "فصل" قال أحمد لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين.

* فإن كان القائد يعرف بشرب الخمر والغلول يغزى معه إنما ذلك في نفسه، و يروى عن النبي ﷺ: (**إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**).

* ثم قال ابن قدامة "فصل" ولا يستصحب الأمير معه مخذلاً وهو الذي يثبط الناس عن الغزو ويزهدهم في الخروج إليه والقتال والجهاد، مثل أن يقول الحر أو البرد شديد والمشقة ولا تؤمن هزيمة هذا الجيش وأشباه هذا. ولا مرجفاً الذي يقول قد هلكت سرية المسلمين وما لهم مدد ولا طاقة لهم بالكفار والكفار لهم قوة ومدد وصبر ولا يثبت لهم أحد ونحو هذا.

* ولا من يعين على المسلمين بالتجسس للكفار، الى قوله وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معه لأنه إذا منع خروجه تبعاً فمتبوعاً أولى لأنه لا تؤمن من المضرة على من صحبه (المغني والشر الكبير).

* إذن يجب أن تحمل المسألة المشهورة في كتب العقائد والفقه وهي (الغزو مع الفاجر) على الوجه الأول فقط. وأن المقصود بالفاجر في هذه المسألة هو من فجوره في نفسه ولم يمكن الغزو إلا معه.

* أما من فيه ضرر بالمسلمين أو خيانة للأسلام فلا يدخل في هذه المسألة والله تعالى أعلم. (نقلاً عن كتاب العمدة في إعداد العدة).

* ونحن نقول: ألن يدخل مسألة مهمة وخطيرة فيه ضرر بالمسلمين والإسلام ألا وهي دخول البرلمانات والحكومات التي لا تحكم بما أنزل الله؟

* أليس القتال مع أمير يدعي من خلال أقواله وكتاباته وأفعاله أنه يؤمن بالديموقراطية يضر بالإسلام والمسلمين؟

* أليس دخول الوزارات في الحكومات العلمانية تشويها للإسلام وتقديم الإسلام بصورة مشوهة لم يأذن بها الله تعالى، مدعياً مصلحة فيما نهى عنه؟ وأسئلة أخرى كثيرة وخطيرة ليس المجال هنا من ذكرها... سنجيب عليها في المحاظرة القادمة ان شاء الله.

واجب الشعوب الإسلامية نحو الحكام

* هؤلاء الذين يدعون أنهم جهاديون هل بينوا حقيقة الإيمان بالله وحقيقة الطواغيت للناس وواجب الشعب نحو حكام الطواغيت من خلال أقوالهم وأفعالهم؟ أم العكس صحيح: أي أم شوموا عليهم هذه الحقيقة. ثم أين الفرق بينهم وبين الذين يدعون أن وصولهم للحكم هي عن الطريق الديموقراطية وعن طريق منبر البرلمان؟ اللهم إلا البندقية!!

- يقول رسول الله ﷺ: **(ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن ادرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً)**. رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة.

- وقال: **(سيلي أموركم من بعدي رجال يعرفونكم ما تنكرون وينكرون عليكم ما تعرفون فمن ادرك ذلك منكم فلا طاعة لمن عصى الله وجل)** رواه الحاكم من حديث عبادة بن صامت.

- وقال: **(سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة.... فمن صدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم ليس مني ولست منه ولا يرد على الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ويعنهم على ظلمهم فهو مني وانا منه وسيرد على الحوض)**.

- وروي ابن مسعود عن النبي ﷺ. انه قال: **(ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من امته حواريون واصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم يحدث بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل...)**.

- وغير هذا من حديث رسول الله ﷺ في هذا الباب كثير... وقد أضلنا زمان وجاءنا هؤلاء الحكام الذين تحدث عنهم رسول الله ﷺ وشر منهم. وابتلينا أيضاً بالحركات الإسلامية التي شوهت الإسلام أمام أعين الناس، بدخولهم البرلمانات والحكومات التي نهى رسول الله ﷺ أفراد المجتمع أن يكون في هذه الحكومات شرطياً ولا جابياً ولا خازناً. أليس هذا ضرراً بالإسلام والمسلمين ومخالفةً لحديث رسول الله ﷺ.

* كان أولى بهذه الحركات قبل كل شئ أن يبينوا للناس حقيقة الطغاة والبراءة منهم ثم بيان حقيقة دينهم بأقوالهم وأفعالهم ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾.

يقول الإستاذ محمد قطب في كتابه (واقعنا المعاصر) بعد مناقشته للشيوخ الذين يظنون أن طريق الموصول الى الحكم هو دخول البرلمانت والإنتخابات، وإعلان صوت الإسلام هناك.

المنزلق الأول: هو المنزلق العقيدي:-

* فكيف يجوز للمسلم الذي يأمره دينه بالتحاكم الى شريعة الله و حدها دون سواها. والذي يقول له دينه إن كل حكم غير حكم الله هو حكم جاهلي لا يجوز قبوله، ولا الرضى عنه، ولا مشاركة فيه...

* كيف يجوز له أن يشارك في المجلس الذي يشرع بغير ما أنزل الله ويعلن بسلوكه العملي -في كل مناسبة- أنه يرفض التحاكم الى شريعة الله.

* كيف يجوز له أن أن يشارك فيه فضلاً عن أن يقسم يمين الولاء له، ويعهد بالمحافظة عليه، وعلى الدستور الذي ينبثق عنه، والله يقول سبحانه ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها و يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾. النساء:١٤٠.

* وهؤلاء حديثهم الدائم هو مخالفة شريعة الله، والإعراض عنها، ولا حديث لهم غيره ينتظر المنتظر حتى يخوضوا فيه!... فكيف إذا يقعد معهم؟!

* كل ما يقال من مبررات! أننا نسمعهم صوت الإسلام... أننا نعلن رفضنا المستمر للتشريع بغير ما أنزل الله... أننا نتكلم من المنبر الرسمي فندعوا الى تحكيم شريعة الله.... كل ذلك لا يبرر تلك المخالفات العقيدية الواضحة.

- يقولون: ألم يكن النبي ﷺ يذهب الى قريش في ندوتها ليبلغها كلام الله.

- بلى! كان يذهب إليهم في ندوتهم لينذرهم... ولكنه لم يكن يشاركهم في ندوتهم.

- ولو أن مسلماً يدعوا الى تحكيم شريعة الله، استطاع أن يذهب الى ندوة الجاهلية المعاصرة، ويسمح له بالكلام فيها كما كانت تسمح الجاهلية الأولى لرسول الله ﷺ لكان واجباً عليه أن يذهب وأن يبلغ، لأنه في هذه الحالة لا يكون (عضواً) في الندوة، إنما هو داعية من خارجها، جاء يدعوها الى إتباع ما أنزل الله، فلا الندوة تعتبره منه، ولا هو يعتبر نفسه من الندوة... إنما هو مبلغ جاء يلقي كلمته ثم يمضي..

المنزلق الثاني : هو تميع القضية بالنسبة (للجماهير)

* إننا نقول للجماهير في كل مناسبة إن الحكم بغير ما أنزل الله باطل، وأنه لا شرعية إلا للحكم الذي يحكم بشريعة الله...

* ثم تنظر الجماهير فترانا قد شاركنا فيما هي ندعوها لعدم المشاركة فيه! فكيف تكون النتيجة؟!

* وإذا كنا نجد لأنفسنا المبررات للمشاركة في النظام الذي نعلن للناس أنه باطل، فكيف نتوقع من الجماهير أن تمتنع عن المشاركة.

* وكيف تنشأ (القاعدة الإسلامية) التي يقوم عليها الحكم الإسلامي القاعدة التي ترفض كل حكم غير حكم الله، وترفض المشاركة في كل حكم غير حكم الله!!

* إننا نحسب أننا بدخولنا البرلمانات نقوم بعمل ييسر قيام (القاعدة الإسلامية) لأنه يدعوا إليها من فوق المنبر الرسمي، الذي له عند الناس رنين مسموع.

* ولكننا في الحقيقة نعوق قيام هذه القاعدة بهذا التمييع الذي نصنعه في قضية الحكم بما أنزل الله.. فلا يعود عند الجماهير تصور واضح للسلوك الإسلامي الواجب في هذه الشؤون.

* ولن تتكون القاعدة بالحجم المطلوب لقيام الحكم الإسلامي حتى ينضج الوعي الجماهير، وتعلم علم اليقين أن عليها (عقيدة) أن تسعى لإقامة الحكم الإسلامي وحده دون أي حكم سواه وأن لا تقبل وجود حكم غير حكم الله.

ويقول الإستاذ محمد قطب عن المنزلق الثالث:-

* أن لعبة (الدبلوماسية) كما أثبتت تجارب القرون كلها، لعبة يأكل القوي فيها الضعيف الى أن يقول ومن ثم فالجماعات الإسلامية -الداخلة في التنظيمات السياسية لأعداء الإسلام- وهي الخاسرة في اللعبة الدبلوماسية. والأعداء هم الكاسبون.

- سواء بتنظيف سمعتهم أمام الجماهير بتعاون الجماعات الإسلامية معهم، أو التحالف معهم، أو اشتراكها معهم في أي أمر من الأمور، أو بتمييع قضية الإسلاميين في نظر الجماهير وزوال تفردهم وتميزهم الذي كان لهم يوم أن كانوا يقفون متميزين في الساحة، لا يشاركون في الجاهلية السياسية من حولهم.

- ويعرف الناس أنهم أصحاب قضية أعلى وأشرف وأعظم من كل التشكيلات السياسية الأخرى التي تريد الحياة الدنيا وحدها، و تتصارع وتتكالب على متاع الأرض ... ولا تعرف في سياستها الأخلاق الإسلامي ولا معاني الإسلامية فضلاً عن مناداتها بالشعارات الجاهلية وإعراضها عن تحكيم شريعة الله....

- وما يحدث من (أصلاحات) جزئية عارضة في بعض نواحي الحياة على يد (الإسلاميين) لا تطيقه الجاهلية ولا تصبر عليه، وسرعان ما تمحوه محواً وتبطل أثاره.... وتظل الأثار السيئة التي ينشئها تمييع القضية باقية لا تزول، وشرها أكبر بكثير من النفع الجزئي الذي يتحقق بهذه المشاركة، حتى لكانما ينطبق عليه قوله تعالى:

﴿فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ البقرة:١١٦.

* ونحن نقول: ودخولهم الحكومات الجاهلية، وإستلامهم الوزارة التنفيذية وفي مقدمتها وزارة العدل (وزارة الحكم بغير ما أنزل الله) الذي أمر الله المؤمنين معاداتها ومحاربتها و هدمها وبناء الحكم بما أنزل الله مكانها، كما هدم رسول الله ﷺ المسجد الذي بناها المنافقون إرصاداً لمن حارب الله ورسوله وحرقها.

- أليس هذا الذي نصنعه تمييع لقضية العقيدة ومبدأ الموالاة والمعاداة، فلا يعود عند الجماهير تصور واضح حول هذه القضايا الأساسية الخطيرة في الإسلام؟!

- أي تمييع للإسلام أخطرمن هذا التمييع، أمام الجماهير؟!

- أي تشويه للإسلام أخطرمن هذا التشويه أمام الجماهير؟!!

- أي خلط بين الإسلام والجاهلية أخطرمن هذا الخلط أمام الجماهير؟!!

- أليس هذا التمييع والتشويه والتخليط يضر الإسلام والمسلمين؟!!

- إن وحدة المسلمين أمر مطلوب ولكن على العقيدة والمنهج وليس توحيد الغثاء، وعند ذلك يكون المطلوب هو التمايز والإنعزال عن الباطل ولو كنا قلة، وأن هذا هو منهج السلف.

- إن الداعي الى (الديموقراطية) حيلة واسلوباً للتوصيل الى الحكم كنوع من المكر والمحايلة والمجاملة - للأعداء هو مرتكب لأثم ومعصية عظيمين.

- وأنه يقدم الإسلام بصورة مشوه لم يأذن بها الله تعالى مدعيا مصلحة فيما نهى عنه..

- إن وجوب فريضة الجهاد المسلح على المسلمين في كل مكان في الفكر والمنهج والأسلوب النظيف، وان هذا ما كلفنا الله به وهو يتولى النتائج وينصر من نصره وهو القوي العزيز.

- من قاتل لتكون كلمة الله هي العلياء فهو في سبيل الله.

- ومن قاتل لعودة الإنتخابات الديموقراطية فليس في سبيل الله ومن قاتل ثأرا كذلك - من قاتل شجاعة كذلك - من قاتل حقداً كذلك - من قاتل للغنيمة كذلك.

- فما بالك بمن قاتل ليستوي أهل الحق بـ(الأحزاب العلمانية) ولتستوي المؤمنات الغافلات وامهاتنا وأخواتنا بالمتعهرات في البرلمان الكفري ولو بنية سليمة.

- إن الله تعبدنا بالأهداف هكذا يقول سيد قطب رحمه الله عبدنا بالوسائل أن تكون شريفة ونظيفة كما توعدنا بالهدف الذي هو شريف ونظيف...

واجب المسلمين اليوم

سنذكر واجب المسلمين اليوم بالتفصيل في ضوء الأحاديث آنفة الذكر في المحاظرة السابقة.

أولاً: أن يحاول كل واحد منهم ألا يكون مع هذا الجهاز الحاكم في وظيفة ولا فئة تثبت أركانه وتحميه فيحاول ألا يكون عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً لهم، وهذا يعني ألا يعينهم بعمل ولو تحت ظغط الحاجة، فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

- يرى أحد الأئمة (رضوان الله عليهم) أدخل السجن في حكم أحد الخلفاء الظلمة.... وكان عنده سجاناً، وذات يوم سأل السجان الإمام: هل أنا من الذين ظلموا أنفسهم لأني سجان، فقال بل أنت من الظالمين. أما الذين ظلموا أنفسهم فهم: خياط يخيط للظالمين الثياب، أو بائع يبيع لهم.

- فانظروا أيها المسلمون لأنفسكم وموقعكم... ولا يعتذر أحد بفاقته وحاجته فالله هو الكافي...

- وبهذا الإعتزال ستنفرز فئة الحكام وأعوانهم وسيسهل على المسلمين تحديد الموقف منهم، ويكونون مجموعة من ظلمة لا خير فيهم.

ثانياً: أن لا يكون في قلوب المسلمين نحو هؤلاء الحكام أي نوع من الولاء والطاعة والتأييد بل يجب أن يحقق الخروج عليهم بقلبه على الأقل وبلسانه ان استطاع حتى يأتي اليوم الذي يجاهدم فيه بيده... وكما نص الحديث: (لا طاعة لمن عصى الله عز وجل) ونستفيد من الحديث الثالث أنه على المسلم أن لا يصدق هؤلاء الحكام بكذبهم ولا يعينهم على ظلمهم، وإلا حصلت براءة الرسولﷺ منه و منع الورود على الحوض كما نص الحديث

ثالثاً: أن يحاول المسلم أن يستدرج في موقفه -كل حسب طاقته- أن يجاهدم بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا يعني التبرؤ منهم والدعاء عليهم والإبتهال الى الله أن يخلص المسلمين منهم....

- ويجب أن لا يفكر المسلم بأن لا يكون فقط في مرتبة أضعف الإيمان بل عليه أن يفكر بالإرتقاء الى مرتبة الجهاد باللسان ثم باليد ولا سيما إذا قامت فئة مؤمنة مجاهدة لحرب هؤلاء الظلمة فعليه أن يبذل لها التأيد بالقلب واليد واللسان كل حسب طاقته - لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وفي هذا السياق يقول الأستاذ عبد القادر عودة تحت عنوان (ذلك حكم الله):

- و هكذا يوجب الإسلام على كل المسلمين عصيان الحكام والحكومات فيما يؤمر به من معصية الخالق.

- ويحرم الاسلام على كل مسلم ان يطيع قانونا او امرا يخالف شريعة الإسلام ويخرج على حدود ما أمر الله به.

- وهكذا يأمر الاسلام كل مسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيأمر بما أمر الله، وينهي عما نهى عنه الله.

- ويوجب الإسلام على كل مسلم رأى منكراً أن يغيره بيده كلما استطاع الى ذلك سبيلا وإلا فبلسانه وقلمه؛ فإن لم يستطع فبقلبه -لا يكلف الله نفسا إلا وسعها- هذا هو حكم الإسلام وتلك سبيل المؤمنين.

* وقد أظلنا زمن فشا فيه المنكر وفسد أكثر الناس فا لأفراد لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا يأمرون بمعروف افتقدوه والحكام والافراد يعصون الله ويحلون ما حرمه الله والحكومات تسن للمسلمين قوانين تلزمهم الكفر وتردهم عن الإسلام.

* فعلى كل مسلم أن يؤدي واجبه نحو هذه الفترة العصيبة ومن واجب كل مسلم سواءً كان موظفاً أو غير موظف، قاضياً أو غير قاض أن يهاجم القوانين والأوضاع المخالفة للأسلام.

* وعلى المسلمين في أنحاء الأرض أن يتعاونوا على تغيير القوانين والأوضاع المخالفة للأسلام وتحطيمها بأيديهم.

* فإن عجز أحدهم أو بعضهم عن الإشتراك في تحطيمها بيده فعليه أن يسل عليها لسانه وأن يهاجمها بقلبه متعاونا مع إخوانه الذين يستطيعون التغيير بأيديهم.

* فإن عجز أحد المسلمين أو بعضهم عن العمل أو القول الذي يهدم به القوانين أو الأوضاع المخالفة للإسلام. فعليه أن يهدمها في نفسه وأن يلعنها ويلعن القائمين عليها في قلبه.

* وكفى المسلمين أدائهم لواجبهم ونجاحه فيهم أن يتعاون أقصاهم وأدناهم وأقواهم وأضعفهم إيماناً على التغير المنكر وهدم هذه الأصنام والطواغيت.

* ويقول: وقد أجمع أصحاب الرسول وفقهاء الأمة ومجتهدوها على أن طاعة ولي الأمر لا تجب إلا في طاعة الله ولا خلاف بينهم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

* وأن إباحة المجمع على تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحد وتعطيل أحكام الشريعة، وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة.

* وأن الخروج على الحاكم المسلم إذا ارتد واجب على المسلمين وأقل درجات الخروج على أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة.

يقول الشيخ عبد القادر عبد العزيز:

* بعد نقله لكلام العلماء حول الإعداد والإستعداد وقت سقوطه للعجز (فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب...) قلت: مما سبق تعلم أن واجب المسلمين تجاه هؤلاء الطواغيت مقرر بالنص الشرعي الذي لا يجوز لمسلم أن يخرج عليه وهو (وألا ننازع الأمر أهله)، قالﷺ: (إلا تروا كفراً بواحاً عندكم منالله فيه برهان).

– وقد انعقد الاجماع على وجوب الخروج عليهم كما ذكرته آنفا ولذلك فلا يجوز الإجتهاد في كيفية مواجهة الطواغيت مع وجود نص والاجماع.

– وان من اجتهد مع وجود النص والاجماع في هذا المورد فقد ضل ضلالا مبينا، كمن يسعى لتطبيق حكم الاسلامي عن طريق البرلمانات الشركية ونحو ذلك.

– ومن قال ان العجز يمنعه من الخروج عليهم فنقول له إن الواجب عند العجز هو الاعداد لا مشاركتهم في البرلمانات الشركية.

– فإن تحققت العجز وجبت الهجرة، فإن عجز عن الهجرة بقي مستضعفاً يبتهل الى الله تعالى كالمستضعفين المؤمنين ﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا﴾ النساء.

– أما أن يشاركهم في برلماناتهم التشريعية فهذا لا يفعله مسلم لأن هذه المشاركة يعني الرضا بالديموقراطية، التي تجعل السيادة للشعب بمعنى أن رأي أغلبية نواب الشعب هو الشرع الملزم للأمة. وهذا هو الكفر المذكور في قوله تعالى ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾ ال عمران، فأعضاء هذه البرلمانات هم الأرباب في الآية السابقة وهذا هو عين الكفر.

– ومن كان جاهلا بهذا يجب تعريفه قال تعالى ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذن مثلهم﴾ النساء.

– بل على هؤلاء أن يتوبوا ويرجعوا الى ربهم وذلك بتصحيح هذه الأخطاء القاتلة ويفكروا بعقلانية من منطلق الإيمان الصحيح وراسخ لإيجاد الحلول الصحيحة لجميع المشاكل التي تأتي في طريق الجهاد وفي مقدمتها بيان فضل وحقيقة الإسلام.

– إن وجوب فريضة الجهاد المسلح على المسلمين في كل مكان في الفكر والمنهج والاسلوب النظيف وأن هذا ما كلفنا الله به وهو يتولى النتائج وينصر من نصره وهو القوي العزيز.

المستقبل للإسلام

* هنالك قدر علوي يدفع الأحداث.. ويدفعها في إتجاه معين.. في إتجاه الصحوة الإسلامية.. إن بواعث الصحوة كلها موجودة، سواءً منها ما هو قائم في هذه اللحظة أو ما هو قادم في الطريق. ولا يملك الأعداء شيئاً من أمر هذه البواعث:

- لا يملكون وقف الحضارة الغربية من الإنهيار.
- ولا يملكون أن يجعلوا عملاءهم في المنطقة ناجحين.
- لا يملكون إلغاء الوجود اليهودي ولا منعه من العدوان المستمر والطغيان المستمر.
- إنهم يملكون –بقدر الله– أمراً واحداً، هو التقتيل والتذبيح والتشريد والتعذيب والإضطهاد.. وهذا لا يقضي على الحركة الإسلامية، إنما يصقلها ويمحصها ويجعلها أقدر على المواجهة. ولله هو الذي يدبر الأمور.

* وبقدر من الله تعمل الظروف العالمية كلها لتمكين الصحوة الإسلامية وتأصيلها وجعلها هي الخط البارز في مستقبل البشرية...

* وبقدر من الله يسخر أعداء الله كلهم للقيام بهذه المهمة مهمة تمكين الصحوة الإسلامية وتأصيلها، من خلال أعمالهم (الطبيعية) التي يقومون بها، وبدافع من الحقد الأسود يملأ صدورهم تجاه الإسلام.

* ولن يكون شيء من هذا نزهة جميلة يتنزه فيها المسلمون، أو طريقاً مفروشاً بالورود إنما هو:-

- العرق والدموع.
- والدماء والعذاب.
- والجهد الناصب.
- والطريق الوعر المحفوف بالمخاوف. وبالوحوش الوالغة في الدماء..
- يسقط فيها الشهيد تلو الشهيد...
- بينما يسير الركب في الحر اللافح وفي الزمهرير.. لا يتوقف عن المسير..

- ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء، والله لا يحب الظالمين، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين.

أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ آل عمران: ١٤٠- ١٤٢ .

- وفي النهاية ينصر الله جنوده ويمكن لهم في الأرض حسب وعده الدائم لهم:-

- ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾ النور:٥٥.

يقول سيد قطب رحمه الله :-

* الإسلام منهج حياة، حياة بشرية واقعية بكل مقوماتها:

- منهج يشمل التصور الإعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود.

- ويحدد مكان الإنسان في الوجود كما يحدد غاية وجوده الإنساني ويشمل النظم والتنظيمات الواقعية التي تنبثق عن ذلك التصور الإعتقادي وتستند إليه وتجعل له صورة واقعية في حياة البشر.

- كالنظام الأخلاقي؛ وينبوع الذي ينبثق منه، والأسس التي يقوم عليها، والسلطة التي يستمد منها.

- والنظام السياسي وشكله وخصائصه.

- والنظام الإجتماعي وأسسه ومقوماته.

- والنظام الإقتصادي وفلسفته وتشكيلاته.

- والنظام الدولي.

- ونحن نعتقد أن المستقبل لهذا الدين، بهذا الإعتبار باعتباره منهج حياة (انتهى كلام سيد قطب).

* إننا نعتقد إن الإسلام بشموله هذا مقبل، ولنا من رسول الله ﷺ بشائر.

- يقول ﷺ: **(تكون النبوة فيكم ما شآءالله ان تكون ثم يرفعها، إذا شآء ان يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شآءالله ان تكون، ثم يرفعها إذا شآء ان يرفعها، ثم يكون ملكاً عاضاً، فيكون ما شآءالله ان يكون، ثم يرفعه إذا شآءالله يرفعه، ثم يكون ملكاً جبرياً، فيكون ما شآءالله ان يكون، ثم يرفعه ما شآءالله ان يرفعه، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت)** رواه أحمد عن حذيفة بن اليمان.

– فنستشف من ذلك أن هناك فترة مقبلة في حياة المسلمين يستظلون فيها بخلافة راشدة على منهاج النبوة تزول فيها الغربة التي يعانيها الإسلام اليوم وتعود فيها الأمة إلى التمكين الموعود؟

– فيهود اليوم هم المسيطرون في الأرض، وهم الذين يرسمون سياسة العالم وهم الذين يخططون ضد الإسلام والمسلمين[1] .

– ويقول رسول الله ﷺ: **(لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبأ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبدالله، هذا يهودي خلفي فتعال فقتله)** أخرجه مسلم.

– فنستطيع أن نستشف من ذلك قيام معركة حاسمة بين المسلمين واليهود يستظل المسلمون فيها براية (لا اله إلا الله) لا براية العروبة، ولا بالقومية ولا بالتراب الوطني.

– وينتصر المسلمون نصراً حاسما بتقدير الله ويكون هذا من أحداث التأريخ التي تغير التأريخ.

– وقد بشرنا رسول الله ﷺ بفتح القسطنطنية وروميه، وقد تحققت نبوته الأولى على يد محمد فاتح –رحمه الله– (١٤٩٢م) وسيتحقق الثانية لا شك في ذلك وهي عاصمة إيطاليا اليوم إن شاء الله.

– وقد دلت هذه النصوص على أن هناك خلافة راشدة قادمة إن شاء الله تعالى فيجب السعي من أجل ذلك.

– وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام – ومدى إنتشاره، بحيث لا يدع مجالاً للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه.

* نحن مؤمنون بهذا مقتنعون به، لكننا مقتنعون معه بأن الله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.
* ولن يتبدل حال المسلمين ما لم ينفضوا عنهم لباس الذل والمسكنة وينزعوا من قلوبهم ذلك الوهن.
* ولن يكون هذا إلا بدعاة إلى الله يأخذون بأيديهم إلى درب الهدى والنور ويكونون لهم القدوة في الدين والعمل والتضحية.

---

[1] لتعاون الوثيق مع الصليبية بطبيعة الحال

المصادر

١

- في ظلال القرآن — سيد قطب

٢- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين — الشيخ محمد صالح العثيمين

٣- زاد الميعاد — إبن القيم

٤ المغني في فقه الأمام أحمد — إبن قدامة المقدسي

٥ الثورة الجهادية الإسلامية في سوريا — عمر عبد الحكيم

٦- الجامع في طلب العلم الشريف — عبدالقادر عبد العزيز

٧ العمدة في إعداد العدة — عبدالقادر عبد العزيز

٨ حد الإسلام و حقيقة الإيمان — عبد المجيد الشاذلي

٩- الجهاد — د.محمد نعيم ياسين

١٠ مشارع الأشواق الى مصارع العشاق — إبن النحاس

١١- الولاء و البراء — سعيد بن علي بن وهف القحطاني

١٢- واقعنا المعاصر — محمد قطب

١٣- التفكير المنهجي — د. عبدلله ضيف لله الرحيلي

١٤- وحدة المسلمين — أبوبصير

١٥- صفة الطائفة المنصورة — أبو بصير

١٦- الثوابت و المتغيرات — د.صلاح الصاوي

● الخلل الذي طرأ على الأمة الإسلامية خلال القرن الأخير خاصة كان هو إفراغ (لا إله إلا الله) من حقيقتها في قضية (الحاكمية) المتصلة بتحكيم شريعة الله و كان هذا الخلل شديد الخطورة في حياة هذه الأمة، و شديد الخطورة بالنسبة للصحوة الإسلامية.

● فإذا كان الواقع المنحرف الذي كان يعيشه المسلمون قد استغل من قبل الأعداء لتنفير الناس من الإسلام، و إيهامهم أنه هو السبب في جمودهم و تاخرهم و ضعفهم و تخلفهم، فإن العرض الصحيح لحقائق الإسلام جدير أن يرد القلوب الشاردة إليه، و الدعوة الى التجمع تحت رايته جديرة أن ترد المسلمين الى وضعهم الطبيعي، بعد أن تفرقوا في شتى الضلالات.

● على هؤلاء الذين ينجرفون وراء البرلمانات و الوزارات في الحكومات الجاهلية، أن يتجهوا الوجهة الصحيحة و الحركة المستقيمة، و إلا فلا عذر لهم فيما إنحرفوا فيه عن الطريق الصحيح و يجرون الناس وراءهم في إنحراف عن الطريق الصحيح، وتتميع القضية ويتساوى في نظر هذه الجماهير كل الساعين الى السلطة و كل الواصلين إليها دون إعتبار (للحق) و (الباطل) لأن الجماهير درجت على السلبية التامة في قضايا السياسة وقضايا الحكم، فلا يهمهم كثيراً من الذي يسعى الى الحكم ومن الذي يصل إليه.

● إن الشرع الحنيف أكد على وجوب التحذير من الخطأ في الدين، لأن السكوت عن هذه الأخطاء يؤدي الى تراكمها حتى يؤول الأمر الى تحريف الدين و تبديله كما حرفت الديانات السابقة كاليهودية و النصرانية اللتان يتعبد أهلهما بضلالات يرون أنها الحق. و لهذا قال الأوزاعي -رحمه الله-: (**إذا ظهرت البدع فلم ينكرها أهل العلم صارت سنة**).